مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

فانتازيا

60

وحدى مع لافكرافت



د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

(عبير عبد الرحمن) مخلوقة عادية إلى حد غير مسبوق .. إلى حد يخطف الأبصار .. إنها الشخص الذى نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا .. الشخص الذى لا يتفوق فى الجمال أو القوة أو البراعة أو الذكاء .. لكن لابد من شىء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها ..

ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة .. ثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق .. ثمة أبطال يمتازون بالحظ العاثر .. ثمة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشىء .. ويبدو أن (عبير) من هذه الفئة الأخيرة ..

فى نقطة واحدة تفوقت (عبير) علينا .. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط ، وتملك فكرة عن أكثر العوالم الخيالية التى أبدعتها قريحة الأدباء والفنانين والسينمائيين ومصممى الألعاب ، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذى يولد الأحلام ، والذى لا يصلح إلا لها فى الواقع ، وبهذا غدت أول مخلوق بشرى يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة ، بل يشارك فيها كذلك ..

ومن البديهى أن (عبير) صارت تنتمى لــ (فانتازيا) أكثر مما تنتمى لعالمنا .. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم فى (فانتازيا) ...

إن (عبير) كريمة النفس ، لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير .. سوف تصحبنا فى رحلتها . سوف نعبر معها عالم المرآة الساحر مثلما فعلت (أليس) يومًا ما .. سوف تقابل ــ ونحن معها ــ العبقرى المخيف (دستويفسكى) وتجلس فى مجلس واحد مع (أرشميدس) و(الخوارزمى) و(أينشتاين) .. سوف يشرح لها (فرويد) نظرياته وهو يدخن غليونه الذى أصابه بالسرطان .. سوف تمشى مع (أفلاطون) فى بستان مدرسته .. ستحلق مع (طرزان) فوق قمم الأشجار السامقة ، وتثب مع الرجل العنكبوت من فوق ناطحات السحاب .. ربما تخدعها الساحرة الشريرة كى تلتهم التفاحة ، أو تهدد المقصلة عنقها ، ولربما تضع قدميها على تربة المريخ الحمراء ، أو تغطس فى كرة أعماق الدكتور (بيب) .. ربما تفتح قبر (توت عنخ آمون) أو تحارب جحافل المغول ..

إنها (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هى : لا قواعد .. وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هى : لا حدود ..

إن جرس المحطة يدق ، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار .. والمرشد الملول الذى يرشدها فى أنحـــاء (فانتازيا) يقف نافد الصبر على باب القطار .. فلنتخذ مقاعدنا بسرعة ..

لقد حـــان موعد قصة أخرى .. هذه المرة تقرؤها على شاشة جهاز الإنترنت ..

الأطفال سيظلون يخشون الظلام ، ولسوف يرتجف الرجال دومًا ـ بعقلهم الحساس لمؤثرات موروثة قديمة ـ عندما يفكرون فى العوالم السرية الغامضة الموجودة خلف النجوم ، أو المحيطة بكوكبنا ، فى أبعاد مشئومة لا يراها سوى الموتى والمجانين .

هـ . ب. لافكرافت



1 ـ عن الرعب والمرعبين ..

الوحــدة ..

الوحدة والظلام ..

الوحدة والظلام والظلال ..

الوحدة والظلام والظلال وخيال لم يتهمه أحد بالخمول ..

الوحدة والظلام والظلال وخيــال لم يتهمه أحــد بالخمول .. و(عبير) وحدها فى غرفة النوم المظلمة ..

ابنتها نائمة .. لكن ماذا يعرف الأطفال على كل حال ؟.. هذا يجعل الخطر مضاعفًا .. أن ما لا يقــدر عليك يقــدر حتمًا على طفلتك ..

عقارب الساعة الفوسفورية تقول إنها الرابعة صباحًا ... يبدو كأن دهرًا يفصلها عن الفجر ، وذلك الرجل الذى يمشى فى الشارع لا تسمع إلا صوت خطواته .. كيف وجــد الشجاعة ليفعلها ؟.. ربما السبب الوحيد لكونه غير خائف هو ...

هو أنه مصدر خوف !

* * *

المشكلة هى أن التيار الكهربى مقطوع ..

لا يمكن أن تبدد الظلام ، وقد نفدت الشمعة منذ ساعة لكنها لم تجد الجرأة كى تتسلل إلى الخارج بحثًا عن أخــرى ، لأن اليد الباردة الملساء ستقبض على معصمها وقتها حتمًا ..

الوحــدة ..

الوحدة والظلام ..

الوحدة والظلام والظلال ..

الوحدة والظلام والظلال وخيال لم يتهمه أحد بالخمول ..

لا تدرى كيف غلبها تعب اليوم ، ولا تدرى متى نامت .. لكنها وجدت أنها تركب قطار فانتازيا وأن المرشد جوارها .. سرها هذا كثيرًا وأدركت أن هذه من المرات التى تدخل فيها فانتازيا بجهد ذاتى من دون تكنولوجيا ..

ـ « مسرورة لرؤيتك يا مرشد .. »

ـ « وأنا كذلك .. وإن كنت أقــدر أننى أنقذتك مــن خيالك المجنون .. »

ــ « لقد فررت من خيال لأغيب فى خيال ..لكنى على الأقل أقبل هذا العالم .. الخوف هنا له طعم ساحر .. »

القطار يتحرك وسط الجبال والهضاب .. الغريب أن مزاجها يتناسب مع ما تراه ، لأن السماء كانت مكفهرة ومن حين لآخر يشق السماء لسان من البرق .. ثم يدوى الرعد .. كانت تمقت البرق وتحمد الله على أنه نادر كل الندرة فى مصر .. هذا الفتق الذى يحدث فى السماء يشعرها بعجز مطلق أمام سطوة الطبيعة .. لا دور لها ولا أمل إلا أن يتجاهلها البرق مرة أخرى على الأقل ..

لو عاشت فى سيبيريا لانتحرت حتمًا ..

من فوق الجبال ترى القلاع .. قلاعًا بسيطة مضحكة تذكرك بقصص الأطفال حيث تعيش الساحرات اللاتى لا يكففن عن سلق أرجل الوطاويط وعيون الموتى من أجل صنع شراب يحيلك إلى ضفدع ..

كل قلعة يقود لها طريق متعرج مخيف على جانبيه هاوية ..

قالت للمرشد :

ــ « أين نحن ؟ »

قال فى لا مبالاة :

ــ « نحن فى عالم الرعب القوطى .. »

ــ « قوطى ؟ »

وابتسمت برغم الجو الكئيب .. هذه الكلمة هى المصطلح الذى تستخدمه أمها للكلام عن الطماطم .. وقد بدت لها غريبة هنا ..

قال وقد أدرك أنها لم تفهم :

ــ « القوطية هى نمط من البناء كالذى ترينه فى هذه القلاع .. منذ كتبت قصة قلعة (أتروانتو) المرعبة ارتبطت هـذه المبانى بالقصص المخيفـة حيث تعيش الأشـباح والشياطين ، وحيث يعيش النـاس مـن ذوى النفوس المريضة المعقـدة .. كلمـة (قوطى) تعنى نوعًا بأكمله مـن الأدب .. لقـد انقرض ولم يعد أحد يمارسه ، لكن عشاقه كثيرون .. من رواد هذا الأدب (إدجـار آلان بو) و(لافكرافـت) و(هـوراس والبـول) و(مارى شيللى) و(أن راتكليف) .. و ... و ... »

ــ « ولماذا يهتم المرء بهذه القصص الرهيبة ؟ »

قال باسمًا :



ــ « السـؤال قديم قـدم البشرية ذاتها .. الحقيقة هى أن الإنسان يحب أن يخيف نفسه .. لا شك فى هذا .. تأملى الأطفال الملتفين حول جداتهم يطلبون سماع المزيد من القصص عن الغولة و(أبو رجل مسلوخة) ... دعى أى شخص يسمع طرفًا من قصة مرعبة وراقبى اهتمامه .. أن سماع قصص الرعب يشعرنا باطمئنان داخلى على أنفسنا ، فنحن نرتاد أفظع مخاوفنا لكننا نعرف أننا سنظل سالمين .. يمكنك الاستمتاع بتخيل مواجهتك لعفريت على سلم دارك ، لكنك لا تتصورين لن يحدث هذا فى الواقع .. »

ــ « هل تتصور أن المرء يحب تعذيب نفسه ؟ »

ــ « لماذا لا نصدق هذه الحقيقة ؟.. أعتقد أن الناس جميعًا تهوى ذلك .. كان (ماسوتش) يستفز زملاءه فى المدرسة حتى يضربوه ليتلذذ بذلك ، وإليه نسبت لفظة (ماسوشية) ... هناك أشخاص يمزقون جسدهم بالمدى .. أما الغالبية العظمى منا فتجد لذة فى تذكر كم أساء لها الآخرون .. فكرى فى الليالى التى سهرت فيهـا تفكرين كم أنك حساسـة وكم أن صديقتك شريرة عندما قالت لك كذا وكذا .. الغالبية العظمى تتلذذ بركوب القطار

الأفعوانى فى الملاهى لتتعذب بممارسة فكرة السقوط من أعلى .. الغالبية العظمى تقرأ بنهم أخبار الحوادث وتعشق أفلام الرعب .. كل هذه صور من الماسوشية .. على كل حال الماسوشية طبع نسائى نوعًا .. السادية طبع ذكرى .. ويقال أن الزواج السعيد هو الذى يتم بين رجل سادى وامرأة ماسوشية .. لا أعنى بهذا أن يجلدها بالسياط ويغرس الإبر تحت أظفارها .. أعنى أنه يقسو عليها ويثير قلقها ، وهى تتلذذ لا شعوريًا بهذا .. »

ــ « هل تعنى أن السادية مقصورة على الرجال ؟ »

ــ « ليس تمامًا .. هناك نساء ساديات يعرفهن التاريخ جيدًا .. الرجال كذلك يحبون قراءة قصص الرعب .. »

كان القطار الآن يمر قرب بلدة مظلمة تركزت العواصف فوقها .. غيوم ... قلاع .. بيوت كئيبة حالكة السواد ..

فقط كانت هناك لافتة كبيرة كتب عليها بخط قوطى (آرخام) ...

قالت محاولة نطق الاسم :

ــ « آرخام .. »



قال مصححًا :

ــ « للدقة هو (آركام) .. لكن رنين كلمة (آرخام) مخيف فى العربية .. على فكرة هناك دار نشر كبرى تحمل نفس الاسم الآن ، تخصصت فى قصص الرعب التى كتبها .. سوف تجدين مؤلفين عديدين اقتبسوا هذا الاسم ، وكانت هناك مصحة آرخام فى قصص الرجل الوطواط .. »

ــ « كتبها ؟... هو ؟ »

ــ « إنه أعظم كاتب رعب فى القرن العشرين ، ولعله الأعظم على الإطلاق ... (لافكرافت) .. نحن الآن نمر جوار مملكته .. فهل ترغبين ؟ »

شعرت بقشعريرة شديدة .. هذا الجو بارد يجعلك ترتجف ..

لكنه كان محقًا بصدد اللذة الماسوشية ..

لقد قبلت أن تنزل هنا !

2 ـ فى آرخـــام ..

ماذا تريد من هنا ؟ .. ما المطلوب منها ؟

لا تعرف حقًا .. المغامرة هى التى تبدأ نفسها ..

كانت هناك أبواب عملاقة تنفتح ، وحراس يقفـــون فى الظل فلا ترى وجوههم .. رائحة رطوبة قوية مع رائحة عطن طحلبى . نباح كلاب من بعيد .. صوت سلاسل غليظة ..

لا صوت سوى صوت الكعوب التى تقرع الأرض ، وصوت الأقفال الثقيلة التى تنفتح . صوت دقات قلبها ..

لابد أنها اجتازت ستة أبواب ، ثم جاء دور درج حلزونى ينحدر لأسفل . درج خطر يذكرك بالسلالم الخلفية للبيوت العتيقة ، أو ذلك السلم فى مصنع الحديد والصلب الذى يمر فوق قيزان الحديد الملتهب .. سوف تسقط فى القيزان بسهولة تامة ، لكن لا يوجد قيزان لحسن الحظ ..

درجات لا أول لها ولا آخـــر .. السلم يئن كأنه موشك على الانهيار . مياه تتساقط مـــن أعلى .. هناك حارس يتقدمها حاملاً كشافًا ...

ثم تمشى فى ممر رطب طويل .. فئران تركض هنا وهناك ...

على الجانبين ترى زنزانات موصدة .. زنزانات مبطنة من الداخـل كالتى تراها فى السينما .. وتــرى ممرضين يضعون أقفاصًا على رءوسهم ويحملون العصى الغليظة . هذه الأقفاص مهمتها حمايتهم من الضربات ..

مرحبًا بكم فى مصحة آرخام للجنون المرضى ...

كل نزيل هنا لابد أنه قتل اثنين أو التهم لسان امرأة أو شوى طفلاً .... هذا أقل واجب كما يقولون ..

فى هذا العصر كانت هناك طريقة واحدة للتعامل مع المجانين هى توجيــه الضربات لهــم حتى تتحطــم عظامهم ، أو رشهم بالماء البارد بلا توقف . الحالات الميئوس منها كانوا يستأصلون الفص الجبهى فى أمخاخها .. هكذا يصير المريض نباتًا يتنفس فحسب ...

كانت تشــعر بأنها موشــكة على الاختناق .. عصاب الأماكن المغلقة يوشك على قتلها . هذا المكان يحمل مظهر الكابوس .. إضاءة الكابوس .. رائحة الكابوس ...

تمشى وسط الممرات وتحاول ألا تنظر عبر طاقات الأبواب ..

فى النهاية وجدت أن هناك بابًا مواربًا .. الحارس يقف ويسلط الكشاف للداخل . لا ترى وجه الحارس لأن الضوء مسلط عليها هى ..

تريد أن تسأله عما ينتظرها بالداخل .. ماذا يتوقع منها أن تفعل ؟

لكنها وجدت نفسها تخطو .. الزنزانة مظلمة ما عدا طاقة فى السقف تسقط شعاعًا من نور يزيد الرؤية صعوبة ، ويلقى بظلال من الجبهة والوجنات . تعرف طريقة الإضاءة الكابوسية القادمة من أعلى هذه كما فى فيلم الأب الروحى ..

غرفة مبطنة كأنها منجدة بالمراتب ..

هناك فى مركز الغرفة فى مركز الضـــوء القـــادم من أعلى ، يوجد مكتب صغير .. مكتب مبطن هو الآخر حتى لا يهشم المرء رأسه ضربًا فيه. وهناك مقعد ورجل جالس .. جواره مجموعة هائلة من المجلدات العملاقة ..

دنت من الرجل أكثر فأكثر ..



هــذه الملامح الشـاحبة الكئيبة . النظرة التعســة الضائعة المذعورة . تعرف هذا الشكل لأنها رأته مرارًا من قبل فى صور فوتوغرافية ..

هذا هو لافكرافت نفسه ..

لافكرافت العظيم .. سيد كُتاب الرعب بعد إدجار آلان بــو . لم تدر من قبل إنه سجين فى آرخام .

* * *

دنت منه أكثر فرأت أنه يمسك بقلم حبــر من طراز عتيق ، يدسه فى المحبرة ، ثم بيد ترتجف يكتب ، وهو يتلو ما يكتبه بصوت هامس :

ــ « ربما كان عدد كبير من رؤانا الليلية لا يزيد على انعكاسات لخبرات صحونا كما قال فرويد ، فإن جزءًا معينًا يظل بطبيعته الأثيرية ممتنعًا عــن التفسير .. ويعطينا تأثيــره المقلق المثير لمحة خاطفة عن عالم عقلى لا يقل أهمية عن عالمنا المادى ، ولكن يفصلنا عنه جدار لا يمكن اجتيازه .. »

كانت يده ترتجف وهو يدون هذه الكلمات ... ثم أغمض عينه وراح يهمس :

ــ « كتولو .. كتولو ! »

ومد يده إلى دورق كبير من مادة شبيهة بالبلاستيك (حتى لا يؤذى نفسه بالزجاج أو المعدن) وجرع جرعة كبيرة من الماء ، لكنه لم يتماسك أكثر وهوى رأسه على المنضدة .. التف عنقه فراح يصدر شخيرًا ..

الحقيقة أنه كاد يقتلها ذعرًا . نهضت وتناولت الدورق لتسكب باقى ما فيه من ماء على رأسه ..

فتح عينه ببطء وقال :

ــ « إنهم الآحاد القدامى .. كائنات تتوارى هناك فى أعمق أعماق المحيط بانتظار اللحظة المناسبة . فى لحظة بعينها سوف يتحطم الحاجز وينهض هؤلاء .. كاهنهم الأكبر كتولو ... وعندها سيكون علينا أن نموت أو نجن .. نحن فى غفلة لهذا نحن نعيش ونتزاوج ونلهو .. لو كنا نعرف واحدًا بالمئة من الحقيقة .. واحدًا بالمئة فقط لانفجر الدم من أنوفنا .. »

ثم راح يردد الأسماء الرهيبة :

ــ « يوج سوثوث المنفى للنجوم .. حاصتور .. نيارلاثوتيب المخيف .. العزيف . العزيف .. »

مررت يدها بين خصلات شعره المبتلة بالعرق والماء وقالت :

ــ « منذ متى دخلت مصحة آرخام ؟.. آرخام أصلاً لا وجود لها سوى فى كتاباتك .. »

ــ « عالمى حقيقى أكثر من العالم نفسه. عالم كتولو وأزوث والعزيف وآرخـــام ويوجوسوث . لقــد عاش هــذا العالم طويلاً بعدي. لهذا أنت فى عالمى الآن .. مع لافكرافت يزول الحاجز بين ما هو حقيقى وما هو خيال الكاتب .. »

ثم تحسس بطنه وقال متأوهًا :

ــ « التاريخ الرسمى لى هــو أننى توفيت بسرطان القولون عام 1937 .. أى فى سن السابعة والأربعين .. »

ثم أمسك بيدها .. اشمأزت من يده المتجمدة الراجفة والمبللة بعرق بارد. خطر لها أن هذا الرجل ليس على ما يرام . إلى متى

يكون علينا أن نكتشف أن هؤلاء العباقرة غرباء الأطوار وربما إلى الجنون أقرب ؟ لقد غدا هذا مملاً بالفعل .

قال وهو ينهض :

ـ « تعالى أقودك فى عالمى .. رحلة سياحية قصيرة .. »

قالت راجفة :

ـ « لا يمكن مغادرة هذا المكان .. إنه شبيه بسجن الكاتراز .. »

ـ « لا توجد سجون فى عالم الخيال .. يمكننا أن ندخل أى مكان ونرى أى شىء .. »

ومشى معها إلى فتحة فى الجدار لم ترها من قبل ....

خطوة واحدة ووجدت نفسها فى عالم لافكرافت الرهيب ..

* * *

قال لها لافكرافت :

ـ « هنـــاك مفاتيح عــدة لعــالمى .. أولاً هنـــاك الشخصية الحساسة المنعـزلة عــن العـــالم والتى تعكف على قراءة كتب السحر القديمة .. »

ــ « هذا معروف .. هــذا الرجل فى كل قصصك .. ويقول البعض إنه أنت .. »

ــ « هناك كذلك عنصر المعرفة المحرمة .. كل أبطال قصصى يعرفــون سرًا يفضى بهم للجنــون . باختصار كل أدبى تكرار لأسطورة برومثيوس الذى وجـد سر النــار ودفع ثمنًا فادحًا . هناك كذلك عنصر مهم آخــر هــو الكيانات العملاقة أو الآحاد القدامى الذين يسيطرون على مصائرنا ويعرفــون كل شىء ، لكنهم ينتظرون لحظة الخروج .. »

ــ « مثل كتولو .. »

ــ « لابد أن كل واحــد منا يحمل ذنبًا قديمًا بسبب خطيئة ارتكبها أجداده وعليه دفع ثمنها .. الوزر يورث فى عالمى . أنت بريئة نقية لكنك قد تجدين أن عليك دفع ثمن خطيئة ارتكبها جد لك فى عصر الرومان . وكل أبطالى محكوم عليهم بشكل قدرى .. كل واحد منهم يعرف نهايته ويتحرك نحوها بلا حيلة .. »

كانت عبير تدرك هذه التيمات ..

لو أنها بطلة من قصــص لافكرافت ، فلسوف تكون مهتمة بالآثار .. تكتشف سرًا مرعبًا عن أجدادها ليس لها أن تعرفه ..

تعرف عن كتاب نيكرونوميكون وإينوخ وتعرف ما عرفه كراولى ودى .. تقترب من الجنـــون .. فى النهـــاية تكتشف أنها أصلاً ليست بشرية بل أجدادها جاءوا من تحت المحيط .. تنتحر .. وهكذا ..

كان هناك كتاب من جلود الموتى كتبت عليه رموز غريبة .. عرفت على الفور أنه كتاب أسماء الموتى (نيكرونوميكون) الذى عرف لافكرافت قصته من الستر كراولى ..

كراولى الشيطان الذى أنشأ مذهب الثليما . هذا الرجل عرف الكثير من الأسرار بالتأكيد .. ثم نقلها إلى سارة .. سارة تزوجت من لافكرافت وأخبرته بالكثير ..

جو نيويوركى كئيب مطير ...

البرق يشق عنان السماء ...

تقف مع لافكرافت وسط الأمواج المتلاطمة عند مدينة مبهمة فى المحيط .. مدينة مـــن صـــخور عملاقة لا تنتمى لشىء فى عالمنا .. زوايا البناية غريبـــة لا تنتمى للهندســـة الإقليدية التى نعرفها ..

الرؤية نفسها غريبة ، ودرجات السلم توشك أن تكون عمودية ..

البخار يعمى العيون ..

ثم فى أحد الأبنية باب هائل .. لا تعرف أن كان بالطول أم العرض عليه رسم يشبه إنسانًا برأس أخطبوط ..

يبدو أن الباب يدور حول محوره ببطء .. والغريب أن الظلام يخرج من الداخل ليملأ الكون .. هناك شىء جيلاتينى عملاق يتحرك بالداخل منذرًا بالخروج . بل هو موشك على الخروج فعلاً. نظرت إلى لافكرافت فى رعب فرأت عينيه متسعتين ونظرة الجنون لا شك فيها ، ثم همس :

ـ « بير آدونى ألويم .. إدوناى ساباوث .. ميتراتون .. »

سحابة خضراء عفنة الرائحة لا تطاق ..

ممسات تتحرك ببطء نحو الباب ..

عاد لافكرافت يكرر :

ـ « كتولو .. »

أدركت فى هلع أنه يتلو صــلاة غامضى ، وأن هــذا الشىء القادم هو كتولو نفســه .. الكيان القديم المرعب الذى تكلم عنه لافكرافت فى معظم قصــصه . يوشــك افتتانه بالأمر أن يكون أسطوريًا ، وكان يقول لصاحب له أن حناجرنا الأرضية لا تقدر على نطق الاســم الذى يجب أن ينطق كأنك تسعل مع تثبيت اللسان إلى سقف الفم !.. ويرى بعض النقاد الغربيين أن الكائن مستوحى من شخصية (الكراكين) الوحش النائم فى حفرة فى أعماق المحيــط فى قصــيدة لــ (تنيســون Tennyson) . إنه الوحش الأخطبوطى المكلف بالتهــام الحسناء أندروميــدا والتى سينقذها (برسيوس) فى آخر لحظة بالاستعانة برأس ميدوسا .

أغمضت عينيها وهتفت :

ــ « أرجوك أن نبتعــد .. أنا مذعورة فعلاً .. لو خرج هذا الشىء ! »

قال موافقًا :

ــ « هــو سيخرج فعــلاً .. ســوف تنجــح الطقــوس التى يؤديها أحدهــم فى عــودته ، وعنــدها لن يظــل العــالم كمــا عرفناه .. »

3 ـ وحدى مع لافكرافت ..

هذه المرة كانت تتوارى معه وسط أشجار قصيرة ، وهما يجثمان على بطنيهما محبوسى الأنفاس ..

هناك قضيب سكك حديدية ومساحة من الخراب وظلام دامس ...

كادت تنهض لكنه أرغمها بيد حازمة على أن تظل متوارية معه وسط الأشجار ، وعندما دققت النظر أكثر رأت أن هناك مسيرة بالمشاعل عن بعد .. مسيرة مشاعل لجمع غفير لا تعرف من هو ، وهو منظر يذكرها بأفلام الجنوب الأمريكى عندما كان أهالى القرية يفتشون عن عبد آبق ، فهم يخرجون بالمشاعل جميعًا وقد تأبط كل منهم ذراع جاره وهم يمسحون المنطقة كلها ..

يبدو واضحًا أنها ولافكرافت هما هدف البحث ..

كادت تتكلم لكنه كتم فمها بكفه لتصمت ..

الآن ترى بوضوح هؤلاء الباحثين فتكتم صرخة هلع شنيعة .. هؤلاء ليسوا بشرًا .. هــذه كائنات تقــف بالضبط بين البشر والأسماك أو الكائنات البحرية .. لو تخيلت أنك وضعت الجمبرى والكابوريا والســمك وقناديل البحر مع البشر فى خــلاط ، فماذا يخرج لك ؟

ثم الرائحة .. الرائحة الزفرة اللعينة ....

المسيرة تتحرك ببطء .. وصوتهم مخيف كأنه زئير مكتوم .. واضح بالتقريب مصير من سيجدونه ..

قال لافكرافت همسًا :

ــ « هــذه هى (إينزماوث) التى سقط الظل فوقها منذ عقد (أوبيد مارش) صفقة مع الشيطان .. »

هنا ديانة وثنية واحدة هى ديانة (داجون) .. ومن يدخل هذه البلدة ويمض ليلته فيها ، فلن يخرج أبدًا .. دخول إينزماوث هو كدخول الحمام .. ليس كالخروج منه !

قالت له :

ــ « لنبتعد من هنا أرجوك .. »



لارلياهل سيهويل فلجانجل دا لا .... يها نتلى ...

أمسك بيدها وراحا يزحفان وسط النباتات ... وكان يلهث بلا توقف فأدركت أن لياقته معدومة ..

* * *

تمشى معه فى شارع مظلم من شوارع مدينة لا تعرف ما هى . يقع الشارع عبر نهر أسود المياه كأن دخان المصانع القريبة يحجب عنه الشمس للأبد ، تحيط به مستودعات بنيت من قرميد ، ويعبره جسر من الحجر الأسود . وكانت مياه النهر خبيثة الرائحة ، ثم هناك ممر مبلط بحجر الإسكافى يقود إلى شارع (دوسيه) .

أين هو شارع دوسيه ؟... لا أحد يعرف .. لافكرافت نفسه قال إنه نسى مكان الشارع ..

ومن نافذة فى طابق بناية متهالكة سمعت صوت كمان ..

صوت غريب لهذا الكمان .. يبعث نغمات لا تصدق أن الكمان قادر على بعثها . مصراع النافذة يهتز بقوة ويضرب النافذة . ثم يتهشم الزجاج فتطير أوراق ..

الكمان بذلك العواء الشيطانى يرج أعصابها رجًا ..

حاولت سد أذنيها بكفيها بلا جدوى فصاح لافكرافت :

ــ « هذه موسيقا الشيطان نفسه .. موسيقا (إريك زان) .. لا جدوى من محاولة عدم السماع .. »

تمر معه أمام بيت فاخر يبدو أنه لأحد الأثرياء ..

هنا رأت رجلاً يقف على العتبة .. يصب على نفسه الكيروسين ثم يشعل ثقابًا .. تصاعد اللهب بينما الرجل يصرخ ويتلوى ألمًا ... مشهد لا يصدق ..

سألت لافكرافت فى رعب :

ــ « هل هذا راهب بوذى يحتج على حرب فيتنام أم ماذا ؟ »

قال لافكرافت :

ــ « هذا هو سير أرثر جيرمين الذى اكتشف حقيقة أسلافه .. »

ــ « وما حقيقة أسلافه ؟ »

ــ « هذه قصة طويلة ربما أحكيها لك يومًا ما .. »

كانا يبتعدان عن اللهب والجذوة العملاقة التى صارت رمادًا ...

الآن يمران جوار مقبرة عتيقة تنمو فوقها نباتات متسلقة ، ويزحف الطحلب على شواهد قبورها ..

هنا رأت رجلاً يركع على ركبتـــه جــوار الشاهد وهو يصرخ ويلطم خده بينما هنـــاك سماعة هاتف على أذنه .. السلك يمتد عبر العشب إلى داخل المقبرة ..

وسمعت من سماعة الهاتف صوت ضحكات مجنونة .. ضحكات لا تصدر إلا من شياطين ...

نظرت فى دهشة إلى لافكرافت فقال :

ـ « ذلك المجنون الذى يجسر على وضع سماعة هاتف داخل قبـــر .. ما الذى يســـمعه ؟.. أصــوات المــوتى طبعًا .. هــذه هى تجربة وارين وصديقه راندولف كارتر المشئومة . أن كارتر لا يصــدق ما يسمعه ويبــدو أنه سيجن من الرعــب مثل معظم أبطالى .. »

قالت عبير فى دهشة :

ـ « راندولف كارتر .. أريك زان .. هذه الأسماء الغريبة .. »

ـ « بل هى أسماء من نيوإنجلند .. من بروفيدانس .. ولسوف تجدينها تعطى قصصى طابعًا فريدًا .. (راندولف كارتر) و(تشارلز دكستر وارد) و(إينزماوث) و(ريتشارد بيكمان) و(آرثر جيرمين) .. »

كان هذا حقيقيًا .. رنين اسم أبطال قصصه مميز فعلاً ..

كان يحب بروفيدانس ـ نيوإنجلند فعلاً ، بينما عاش فى نيويورك ألعن فترات حياته .. كان يكره كل شىء فى نيويورك : المبانى .. الناس .. الوجوه .. زوجته ..

الآن ترى رجلاً يفتح أحد القبور ، ويغيب بالداخل ثم يخرج وهو يحمل دورقًا زجاجيًا ويضحك ضحكة شيطانية .. ينظر للسماء ويهتف :

ـ « أملاح الموتى !.. يى ناش يوج سوتوث هى إيجيب ثروداح ! »

هنا يشق البرق الظلام وترتج الأرض ...

ومن قبر ما ترتفع يد راجفة .. تشق التربة محاولة التمسك بشىء ..

قال لافكرافت :

ــ « هــذا هو جوزيف كوروين .. كوروين الســاحر الشرير الذى عــرف كيــف يخاطب أزوث . لقــد استحوذ على جســد (تشارلز دكستر وارد) .. »

ثم أمسك بيدها ليفرا من هذا المشهد الرهيب ..

الحق أن عبيــر رأت فى تلك الليــلة الســوداء ألف كابوس وكابوس .. لم تتصور قط أن هناك عقلاً قــادرًا على خلق هــذه العوالم المخيفة . كانت تعرف أن إدجــار آلان بو شاعر عبقرى خلق عوالم كابوسية كاملة ، لكن من الواضح أن عوالم لافكرافت أكثر تعقيدًا ....

كانت الأرض تنفتح فتبــرز أعــداد من مجلة لها غلاف مميز هى مجلة (حكايات غريبة) .. يبــدو أن كــل هــذه القصص كانت مخبــأة فى أعــداد هــذه المجلة ، وكانت متنــاثرة .. وكان لافكرافت يؤمن أنها ســوف تزول من العالم بعــد رحيله . ما حدث هو أن تلميذه أوجست ديرليث قام بجمع هذه القصص وافتتح دار نشر اسمها (آرخام) تخصصت فى طبع مؤلفات لافكرافت ..

من كل مجلـــد كانت تعيش قصـــة جديدة .... رأت اختراعات مجنونة تقود أصحابها للخبال . رأت موتى يعيشون بعد وفاتهم بعشرات الأعوام عن طريق اكتشـــاف طبى رهيب . رأت باكمان الرسام الذى يرسم الغيـــلان ونكتشف أنه كان يرسم ما يوجد فى قبو بيته ..

كانت ترتجف وتصرخ بلا توقف ..

فقدت الوعى للحظات ثم فتحت عينيها ببطء ..

العالم عندما يكون مشوشًا مهتزًا ثم يستعيد وضوحه ، كأن أحدهم لامس العدسة ليضبط البؤرة ..

هذه هى الزنزانة المبطنة ، وهذا هو لافكرافت بقميص أبيض مفتوح الكمين يجلس إلى المنضدة . ويشرب جرعة ماء أخرى ، ثم يدون سطورًا فى المجلد الضخم ..

تنظر لوجهه الشاحب وتتذكر أبطال قصصه الممتقعين السقيمين الذين أدمنـــوا المهدئات .. لا شك أنه كـــان يضع نفسه فى قلب كل قصة منها .. كما يصف البطل ونحن نعرف جيدًا أنه يصف نفسه : « شاب أسمر نحيل بادى العصبية والقلق . شديد الذكاء لكنه غريب الأطوار بسبب اهتمامه بدراســـة الظواهر الغريبة ،

وكان يعتبر نفسه (شديد الحساسية نحو الخوارق) . ولما كان منطويًا صار خفيًا بالنسبة لمجتمعنا ، فلم يعـد يعرفه سوى عدد قليل من الناس .. »

فى قصصه تقابل دومًا ذلك الشـاب الحسـاس غريب الأطوار الذى يعيش منفردًا ويتصل بسر مخيف غامض ، ينكشف لراوى القصة فيجن أو يهرب ويقضى حياته مذعورًا .

لما أدرك أنها أفاقت قال لها :

ــ « أرجو أن تكون الجولة قد راقت لك .. »

ــ « يصعب أن أقول هذا .. ولكن .... »

تلاعب شبح ابتسامة على وجهه الصارم الكئيب وقال :

ــ « لقد انتهت رحلتك فى عالم لافكرافت .. »

ــ « بهذه السرعة ؟ »

ــ « لا تتوقعى أن تمضى حياتك هنا .. أرجو أن ترحلى الآن لأننى مشغول فعلاً .. »

ثم أمسك بورقة مطوية وناولها لها وقال :

ـ « هـــذه الورقة تلخص كل شىء عنى .. أرجو أن تقرئيها عندما تعودين .. »

نهضت شاعرة بخيبة الأمل .. هذه المرة كان العرض قصيرًا أكثر من اللازم .. اتجهت لبـــاب الزنزانة . انفتح الباب وظهر ممرض غليظ العضلات يحمل هراوة ويضع رأســـه فى قفص .. نظر وراء كتفها فى حذر ليتأكد من أن لافكرافت بعيـــد ثم سمح لها بالمرور ..

وسمعت صوت الرتاج الثقيل يوصد ..

قالت للرجل الغليظ :

ـ « هو أديب واهـــن لا يقـــدر على ضرب ذبابة .. لا أعرف سر هذا الحذر .. »

قال فى شىء من خوف :

ـ « أنت لا تعرفين القوة التى يمنحها الجنون .. أضيفى لهذا أن هـــذا السجين مخيف . يعـــرف أســـرارًا لا نعرفهـــا ويتصل بالشياطين . إننى على استعداد أن أواجـــه عشرة مجانين ضخام الجثة على مواجهة هذا الرجل الواهن كعقـــرب .. »

هزت رأسها باسمة .. لم يخل كلامه من منطق ..

الآن بدأت رحلة العودة بالعكس عبر الممرات الطويلة المظلمة الرطبة .. ممرات تم استخراجها من عوالم الكابوس بلا شك ..

لم تحـاول أن تنظر عبـر القضبان الحديدية التى تغلق نوافذ الأبواب ، فخلفهـا يوجـد أعتى العـذاب البشرى ، كأنما هـذه نوافذ على سقر . تسمع الصراخ .. لم تسمع من قبل صراخ روح لكن هذه هى الحقيقة .. تسمع الرءوس وهى تتهشم على القضبان ...

بيت الأرواح المعذبة .. هذا هو الاسم المناسب للمكان ..

ولهذا شعرت براحة عظمى عندما وقفت فى العراء ترقب هذه المصحة الرهيبة ، بينما البرق يمزق صفحة السماء ثم يدوى الرعد ...

المطر .. المطر الذى يغسل كل أدران الروح ..

4 ـ حادث فى السوق ..

عندما فكت الأقطاب عن رأسها ، جلست تحدق فى الفراغ للحظات .. البيت هادئ والصمت يسود المكان ما عدا ذلك الكلب الذى ينبح عند شارع قريب ..

الدوار .. ذلك الدوار الذى يغمرها غالبًا عندما تعود من عالم فانتازيا . نفس ما يشعر به ذئب البحار عندما يعود من رحلة فى البحر طالت عامين ، ثم يمشى فى شوارع المدينة ..

تشعر بظمأ حارق .. اتجهت إلى المطبخ وفتحت الثلاجة فأخرجت زجاجة من الماء البارد وأفرغتها كلها فى بطنها ..

غريب .. دائمًا ما تعطيها خبراتها فى فانتازيا جو الإشباع كأنها كانت فى رحلة ممتعة .. تعود منتعشة أكثر قدرة على تحمل الواقع . اليوم هى منهكة فعلاً ... لا تريد شيئًا سوى أن تنام ..

كان كل من معها بالبيت نائمًا ..

أعدت لنفسها كوبًا من الشاى بالحليب ، ثم تربعت فوق الفراش .. الأرفف جوار الفراش مفعمة بالكتب .. أفكار تتزاحم كأنها فى حافلة وقت الذروة .. لابد أن هناك الكثير من التدافع والتحرش ..

ترى هناك ترجمة عربية للافكرافت. يمكنها الآن أن تفهم من أين جاء لافكرافت لعالمها ..

لكن التجربة كانت قاسية جدًا قصيرة جدًا ..

تتذكر طفولتها عندما كانت تتحرق شوقًا للذهاب إلى السيرك . عندما اصطحبها خالها العزيز هناك جلست تصفق فى حماس وتفرك يديها .. جاءت فقرة ثم فقرة ثم فقرة .. تصاعدت مشاعرها نحو ذروة من الاستثارة والحماس .. هنا ظهر مدير السيرك ليشكر الجمهور على حضور العرض !

لقد انتهى كل شىء ..

كانت تتهيأ لذروة .. ذروة تفقدها صوابها وتجعلها تصرخ حماسة ، لكن كل شىء انتهى فجأة ..

لم تعش ما يكفى مع لافكرافت . يكفيها فقط أنه ليس على ما يرام وأن عوالمه كابوسية ، ولا شك أن فى شخصيته جزءًا من النبى الزائف .. فهو يبشر بدين جديد وهو يصدق هذا الذى يبشر به .. اقتناعه بعوالم كتولو وأزوث يتجاوز الاهتمام الأدبى ..

رشفت رشفة أخرى من الشاى ، ثم تمددت فى الفراش تنظر للسقف وتفكر فى خطة الغد .. سيكون عليها أن تدفع فاتورة

الكهرباء المتأخرة . عليها أن تجـد حضانة أخـرى للطفلة فهذه الحضانة وكر عصابة ... ماذا تطهو غدًا ؟

غالبًا ستبتاع بعض السمك المشوى .. السمك البلطى رخيص ولن يستغرق الأمر منها جهدًا سوى إعداد بعض الأرز ...

هذه الورقة ...

أناملها تكرمش الورقة .. تتحسسها فى دهشة .. أى ورقة هذه ؟

رفعتها أمام عينيها ثم فتحتها وحاولت أن تقرأ الموجود ..

رباه !.. هذه هى الكلمات التى خطها لافكرافت قبل أن ترحل . قال لها إنها ستفهم كل شىء . لكن كيف ؟.. هل هذه الورقة جاءت معها من عوالم الحلم مثـل ذلك الشـاعر البريطانى الذى حلم بالفردوس ثم صحا ليجد زهرة فى الفراش ؟

مستحيل .. هـذا كلام شعراء .. لكن على قـدر علمها هى لم تعد قط بشىء من فانتازيا . لم تحمل سوى الذكريات ...

فتحت الورقة ببطء وراحت تطالع المكتوب بذلك الخط المبعثر الأسود :

كتولو فتاجن

فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن

ياى نجناه .. يوج سوثوث

هى لجيب

فاى ثرودوج .. يواه .... جيب ليب

زرو

دسميس جيشيت بون دوسيف دوفما انتيموس

لارلياهل سيهويل فلجانجل دا لا .... يها نتلى ...

هل هذه لغة لاتينية ؟.. لا .. هذا واضح . على الأرجح هى لغة (عفاريتية) . مخيفة فعلاً وتوحى بالشؤم ..

لكن لماذا أعطاها لافكرافت هذه الورقة وما أهميتها ؟.. لكى تنتفع بالورقة فعليها أولاً أن تفهم ما فيها . واصلت القراءة وهى مضطجعة فى الفراش ..

فى النهـاية كان هنـاك رمز .. رمز الثليما الـذى تعرفه من قراءاتها عـن كراولى . كل هذا جميل ولكن لا معنى له .. دعك من أنها لا تفهم حقًا كيف عبرت بهذه الورقة من عالم الخيال ؟

ثم بدأت تعتقد أنها تعرف الحل. يمكن بسهولة أن يكون هذا خطها لو تشوه نوعًا .. لابد أنها أثناء الغيبوبة نهضت .. بحثت عن ورقة وخطت عليها هـذه الكلمات .. ألعـاب العقل الباطن الشهيرة .

هكذا كورت الورقة وتهيأت للنوم ..

* * *

السوق ..

تحب السـوق برغم الزحـام والغبار والطين والكلاب الضالة والضوضاء .. يشعرها بالخير كله محتشدًا فى مكان واحد . لم تكن تحب الأكل أبدًا لكنها تحـب منظـره .. قـد لا تحب مذاق الطماطم لكنها تعشق حباتها الحمراء الملساء اللامعـة .. ربما لا تذوق السبانخ لكنها تعشق هذه الأوراق النضرة ..

السوق ليس ببعيد على كل حال .

اتجهت نحو بائعة السمك لتبتاع سمكًا مشويًا للغداء كما قررت ، لكن يبدو أن المرأة لم تأت اليوم . كان هناك زحام فى ذلك المكان .. استطاعت أن ترى مجموعة من النسوة وشباب السوق ، وهناك رجلا شرطة .. شرطة ؟

كانت ككل فتاة فى حى شعبى تلبس شبشبًا وتحمل كيس النقود الصغير فى يدها . شقت الزحام لتعرف ما هنالك ..

عندما اقتربت أدركت أنها تحدق فى قدمين متسختين تخرجان من تحت ملاءة .. وأدركت أن الملاءة ملوثة بالدم .

جريمة لا شك فيهـا .. ليتها تسـتطيع أن تقسـم أن هاتين القدمين ليستا قدمى البائعة ..

وسمعت إحدى النسوة تقول فى لوعة :

ــ « يبـدو أنها جاءت فى سـاعة مبكرة .. لابـد أنه باغتها بالطعن ، ولم يكن هناك أحد سواهما فى السـوق .. سرق المال وهرب .. »

قال الشرطى :

ــ « ولمـاذا يشوهها بهـذه القسوة ؟.. القتـل تكفيه طعنة واحدة .. »

كانت عبير تدرك أن هـذه العجوز بلا أعـداء . ولو كان لها أعداء فليس منهم من يرغب فى تمزيقها .. التمزيق يقوم به شخص ينتقـم أو عاشق غيور أو زوج يدرك خيانة زوجته ..

ليس هناك قاتل يتطوع بالمزيد من العمـل بلا سبب . لا يتعلق الأمر بالحصول على أجر إضافى ..

ـ « يبدو أنه انتزع كبدها .. »

شعرت بمعدتها تتقلص وأنها توشك على القىء ..

هتف أحد رجلى الشرطة :

ـ « فليذهب كل واحد لشأنه .. انتهت الفرجة .. »

استغرقت عبير ربع ساعة حتى عادت معدتها تعمل ، وإن سال اللعاب من بين شفتيها دون أن تدرى ..

أدركت عبير أن الأمر له جوانب مأساوية كثيرة ، لكن الجانب الذى يهمها الآن هو الحاجة لشراء سمك مشوى رخيص جيد قبل موعد الغداء .. هـذه هى مأساتها الخاصة .. هنـاك أسرة جائعة لن تهتم بأخبار قتل البائعة ..

لحظـة أن تغيـر حلاقك أو سائقك أو بائعَ سـمكك هى لحظة قاسية فعلاً .

كانت ماشية فى السـوق تبحث عن بائع سمك آخـر ، عندما وجدت مجذوبًا يحمل مبخرة .. يمشى واللعاب يتطاير من فمه

وهو يهز رأسه يمينًا ويسارًا .. لا لم يكن يقول : (فيووووم) بل كان يقول :

ـ « فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن .. »

يا للخبال ! .. كل النـــاس قد جنت . يبدو أن الضغوط النفسية قد .....

لكن ..

ماذا قاله هذا المخبول ؟

« فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن .. »

هنا فى السوق ؟ . يبدو الأمر غريبًا بعض الشىء ...

لقد كان يردد ذات كلمـــات لافكرافـــت !... لابـــد أنها مجنونة أو على وشك ..

5 ـ يـوم الجنـون ..

لا يمـكن أن يقـابل المـرء لافكرافـت حتى فى فانتـازيا ، إلا ويسبب له هذا بعض النحس .. الكثير منه ..

لا شك أن العالم لم يعد كما كان أمس .

هكذا خطر لها وهى تقـدم السمك لأمها والطفلة ، ثم تغرف الأرز فى الأطباق .. كانت هناك مائدة فى البيت لكنهن يفضلن الجو الحميم للطبلية .. مائدة الملك آرثر المستديرة على الطريقة المصرية ..

راحت تصنع لقيمات وتنزع الشوك من السمك ثم تدس هذا كله فى فم الصغيرة الرطب ..

قالت لأمها أن أم (فتحى) بائعة السمك قد قتلت فى السوق .. قتلت بطريقة شنيعة ولا يعرف أحد السبب ..

كانت الأم قد صارت شبه صماء لذا راحت تصغى ، بينما عبير تكرر كل عبارة مرتين بصوت عال . لما انتهت عبير من السرد قالت العجوز العزيزة :

ـ « النفوس صارت سيئة .. »

كلمتها الشهيرة .. تسمعها عبير منذ طفولتها ومنذ كانت فى عمر هذه الطفلة . الأمر غريب .. النفوس صارت سيئة منذ ثلاثة عقود فمتى كانت طيبة إذن ؟.. هذه الأم جاءت من عالم يملك أفراده جناحين ويحلقون بين الأزهار ، ولا يقتلون بائعات السمك أبدًا .. بينى وبينك .. العالم الذى لا يقتلون فيه بائعات السمك وينزعون كبدهن هو عالم جدير بالحياة فيه ..

بسرعة انتهت عبير مـن طعامها فانتقت طبقًا وضـعت فيه بعض الأرز وسمكة وملعقتى سلاطة .. ونهضت لتغسل يدها ..

سألتها الأم عن وجهتها فقالت وهى تجفف يدها فى المنشفة :

ـ « أم سيدة .. »

لو لم تكن تعرف أم سيدة فأنا أقول لك إنها تلك العجوز التى تعيش وحدها فى الشقة المجاورة . أولادها يمتازون بالعقوق وليست معها ابنتها سيدة .. وهى لا تملك مليمًا .. لهذا اكتشفت عبير أن العجوز طاوية أغلب الوقت ، وفى أيام كثيرة تنام بلا غداء ولا عشاء .. كبرياؤها تمنعها من التسول .. لا تطلب شيئًا من

أولادها ولا جاراتها . بما أن عبيرًا هى ملكة جمال أرواح ؛ فقد أضافت لأسرتها الصغيرة فردًا جديدًا .. فى أكثر الوجبات تذهب للعجوز الوحيدة لتقدم لها طبقًا من أوسط طعامها .. تفعل هذا خلسة وهى تتلفت حولها كأنها تسرق المصرف ...

هكذا خرجت عبير من الشقة قاصدة الشقة المجاورة ..

•

دقت الباب عدة مرات ونادت :

ــ « يا أم سيدة .. أنا عبير .. »

لم ترد المرأة ..

كانت عبير تعرف الحيلة . تمد يدها عبر الشراعة وتهبط بأناملها لتفتح المقبض من الداخل . تفعل هذا كثيرًا .. هكذا وضعت طبق السمك على الأرض ، ثم مدت يدها وتحسست المقبض ..

الشقة خالية .. يبدو أن العجوز خرجت .. هذا نادر لكنه يحدث ..



ــ « أم سيدة ! »

التلفزيون مفتوح على مسلسل سخيف يعاد وقت العصر يوميًا .. هنـــاك منضدة عليهـــا رغيف وقرطاس به فلافل . هناك علبتا دواء .. هذه آثار أم سيدة لكن أين أم سيدة نفسها ؟

دخلت عبير إلى غرفة النوم ..

كان ما رأته مثيرًا للهلع .

كان الدم فى كل مكان ، وكانت هنـــاك نجمـــة خماسية على الأرض .. نجمـــة رسمت بالطبشـــور .. وفى كل صوب تناثرت شموع سود ... هناك رسم بدائى لرأس ماعز ..

وأدركت أن مركز النجمة هو جسد بشرى ممزق .. جسد أم سيدة بالذات ، وقد تم إبعاد أطرافها لتبدو كنجمة .. الأدهى هو أن الفم مفتوح ومن الواضح تمامًا أن هناك من نزع اللسان !

هنا فقط استندت إلى الجدار وأفرغت ما كانت معدتها تتوق لأن تفرغه منذ الصباح ..

ما هذا الجنون ؟.. أى يوم هذا ؟

هناك من قتل هـــذه العجوز الفقيـــرة البائسة ، وقتلها بطريقة شنيعة فعلاً ..

الأسوأ أنها لا تعرف أين ذهب القاتل .. الشقة مغلقة .. هناك احتمال لا بأس به أن يكون هنا ..

كاد قلبها يثب من فمها .. خيل لها أن ثمة من يتحرك فى الصالة .. لا شك أنه يحاول الفرار ، ولو رآها فلسوف يحاول أن يلحقها بالعجوز قطعًا ..

تجمدت فى مكانها .. برد فعل غبى تناولت شمعة سوداء وقبضت عليها كأنها خنجر لتطعن بها من يهاجمها . حقًّا ستكون الشمعة فعالة جدًّا فى طعن المهاجم ..

ثم وجدت حلاً أفضل .. ركضت نحو النافذة وفتحتها ، ثم أمسكت بالقضبان وراحت تصرخ بلا هوادة .. تصرخ كأنها فى كابوس :

ـ « الحقونى ى ى ى ى ! »

ورأت المارة ينظرون لها فى فضول ، ثم هرع فتوات الحارة بالجرى لمساعدتها .. هذه مزية الحياة فى حارة .. لو حدث هذا فى منطقة راقية لظل الناس ينظرون لها فى غباء ، ثم انصرفوا لحال سبيلهم . بينما هنا الشباب مستعد للشجار معك أو من أجلك أربعًا وعشرين ساعة .

وبعد دقيقة كان هناك عـدة شباب ينظرون إلى الجثة الغارقة فى الدم ، ويفتشون فى الشقة وهم يلوحون بالمطاوى ..

وأدركت أنه لا يوجد قاتل فى الشقة فى هـذه اللحظة .. هذه من بنات خيالها إذن ..

بعد ساعة ــ وهذا يعنى أنهم جاءوا بسرعة ــ وصل رجال الشرطة والمختبر الجنـائى ، ليحققـوا فى ملل ويلتقطوا بعض الصور ويأخذوا البصمات .. ثم جاء محقق مرهق ليأخذ أقوالها .

هل لأم سيدة أعـداء ؟.. بالطبع لا .. إنهـا كائن يعيش على هامش العالم كاليعسوب .. هل تعرف من هم أعداء اليعسوب ؟.. هل تهتم بوجود يعسوب ؟ بل هل تعرف ما هو اليعسوب أصلاً ؟

لكن الضابط الذى راح يتأمل الجثة قبل وصول رجال الإسعاف الذين جاءوا بعـد ساعتين (لأن الأمر ملح وخطير) .. هذا الضابط قال وهو يتفحص فم الجثة المفتوح :

ــ « انتزاع لسان .. هذا جديد .. »

قالت عبير وهى ترتجف :

ــ « نجمة خماسية .. رأس ماعز .. »

نظر لها الضابط فى حيرة ثم قال :

ــ « نجمة ماذا ؟ خماسية ؟ ومعنى هذا ؟ »

لقد بلغت روحها الحلقوم من انعدام خيـال الناس وثقافتهم . لو رأى هـذا الضابط فيلمًا أجنبيًا واحـدًا لعرف معنى النجمة الخماسية ..

قالت فى نفاد صبر :

ــ « هذا قتل (طقسى) .. »

ــ « وما معنى طقسى ؟ »

يا رب امنحنى الصـبر .. لو أطلقت سـبة لجلبت على نفسى المتاعب . قالت وهى تتنهد :

ــ « سحر .. سحر أسود .. عمل .. »

قال مفكرًا وهو يحك ذقنه :

ــ « بينى وبينك معك حق .. هناك جرائم مشابهة فى المناطق التى توجد بها آثار فرعونية . يعتقدون أن هذه الطقوس الدموية تقودهم للعثور على الكنوز .. »

ثم نظر فى ساعته وسمح لها بالانصراف .. سوف يطلبونها لو جد جديد .. عليها أن تكون حذرة وتغلق بابها جيدًا ..

* * *

لكن الكلام سهل .

لقد تبدلت حياتها بالكامل .. عندما تعرف أن هناك سفاحًا دخل البناية التى تقيم فيهـــا ، وذبح امـــرأة مسنة فى الشقة التى أمام شقتك ، فأنت قد فقدت الأمان للأبد ..

تأكدت من غلق الشقة ، وأصدرت تعليمـــات الحمـــاية لأمها .. الأم التى كانـــت فى حـــالة ذعـــر جعلتهـــا لا تفهـــم بالضـــبط الموضوع ..

دخلت عبير إلى الحمـــام ، وقررت أن تبدل ثيابها .. لم تكن ملوثة طبعًا لكن رائحـــة عرقها كانت تكتم الأنفاس .. لقد فقدت ستة لترات من العرق على ما يبدو فى الساعة الماضية ..

وقفت بقميصها الداخلى أمام المـــرآة وبدأت تمشط شعرها .. هنا لاحظت شيئًا ما ..

إن قميصها الداخلى ملوث بالدم عند الصدر.. دم أحمر جاف بدأ يسود ، وهو ليس دمها .. لا توجد جروح !... من أين جاء الدم إذن ؟

ثم خطر لها أن هــذا الدم جاء من .. من انتزاع لســـان امرأة مسنة تعيش وحدها !



6 ـ حادث عابر ..

راحت ترتجف بلا توقف ..

هذا كله مستحيل ، ولكن من أين جاء الدم إذن ؟ كان ذعرها سيكون أقل لو وجدت جرحًا نازفًا فى صدرها .. على الأقل هذا تفسير منطقى للعالم ، لكن لا يوجد تفسير سوى التفسير الأشنع الذى تهابه ..

كيف ؟

هناك نقطة أخرى مهمة هى أن أم سيدة لا تفتح إلا لعبير .. وعبير تعرف كيف تدخل الشقة بلا جهد كما قلنا ..

هل تكونين أنت القاتل يا عبير ؟.. نزعت ثيابك ورحت تمزقين العجوز وأنت تلبسين قميصك الداخلى ثم اغتسلت ولبست ثيابك من جديد وعدت لدارك ، وجلست تعدين لها طعام الغذاء ؟.. تعدينه لضحيتك !

ما هذا الجنون ؟.. تقرأ عن أشياء كهذه فى القصص ، لكن أن يحدث هذا فى عالم الواقع فهو شىء مستحيل . ولكن ما التفسير إذن ؟

نظرت لوجهها فى المرآة وتقلصت ملامحها فى توحش :

ـ « هذا اللافكرافت النحس .. هذا اللافكرافت اللعين .. لقد غير شخصيتى .. لم أعد بعد مقابلته كما كنت .. أنا متأكدة من هذا .. »

نزعت القميص الداخلى ونقعتـــه فى ماء ومسحوق غسيل . وأدركت أن الدماء الجافة تلوث عدة أجزاء . هل سيجد رجال الشرطة بصماتها ؟.. هل يوجهون لها الاتهام ؟..

والأهم هو : كيف تواجه نفسها ؟.. لا تجرؤ على طلب عون أو رأى شخص آخــر .. مساء الخيــر يا سيدى . أعتقد أننى مخبولة وأننى أنتزع لسان العجائز وأقتلهن . هل من مقترحات ؟

هل تسلم نفسها للشرطة ؟.. تصرف أحمق آخر خاصة أنها لا تملك دليلاً ، ولن يصدقوا حرفًا ..

يجب أن تحل مشكلتها بنفسها ..

* * *

فى نفس الوقت تقريبًا ..

فى ذلك المطعم بالإسكندرية ..



كان الزبائن يلتهمون أطباق الكباب المشوى مع السلطة .. أطباق شهية ممتازة فعلاً . سلاطة الطحينة التى يقدمها المطعم شهية كذلك ، فإذا أضفنا لهذا الخبز الأسمر النضر الذى تشم رائحته الطازجة من على بعد عدة أمتار .. يمكنك أن تختار هذا المطعم كأفضل مطعم عرفته فى حياتك .

صاحب المطعم الحاج (الششماوى) جالس على الكاونتر يدخن الشيشة فى رضا ويعد المال ، ويقدم للزبائن أعواد خلة الأسنان .. كأنه يعوضهم بهذه الأعواد عن المال الذى دفعوه ..

توقفت سيارة أمام المطعم .. سيارة لها ذلك المنظر الرسمى الكئيب ، ومنها ترجل مفتشا تموين وطبيب ورجل شرطة مسن منهك ...

تقدم الموكب نحو المطعم ..

الحاج خرج ليقابلهم ومعه أحد صبيانه المذعورين ، وهو يتساءل :

ـ « خير يا باشا ؟.. هل من مشكلة ما ؟ »

زيارات رجـال الصحة هـؤلاء روتينية على كل حـال ، وقد اعتادها . لابد أن زبونًا ابن حرام قد وجه شكوى ما ، أو واحدة من مطلقاته قد فعلت هذا .. وراءه جيش من النسوة المطلقات يبحثن عن طريقة يضايقنه بها ..

تقدم المفتشان إلى المطبخ حيث كان هناك عدد من العاملين .. عرق .. زحام .. بخار خانق .. قيزانات تغلى .. فتاتان تتبلان اللحم .. خلية نحل كاملة ..

يقوم الطبيب بتشمم اللحم ثم يأخذ عينات منه ..

لاحظ أحدهما أن العاملات لا يغطين شعرهن ، وهذا يخالف القواعد الصحية .. وعلى الفور زغر الحاج بعينه فمدت الفتيات أيديهن إلى مناديل رأس وربطنها ..

هذا روتين سوف ينتهى حالاً .. ربما احتاج إلى دفع رشوة بسيطة من تحت المائدة ، لكنه اعتاد هذا كذلك ..

لكن رجل الشرطة المسن وقف عند باب فى نهاية المطبخ . باب عتيق موصد بعناية ، وتساءل عما هنالك ..

قال الحاج فى قلق :



ــ « لا شىء هنا .. مجرد صندرة .. »

ــ « افتحها .. »

تملص الرجـــل وزعم أن المفتاح ليس معـــه ، لكن مفتشى الصحة تعاونا على فتح الباب عنوة .. انفتح الباب أخيرًا وقد تهشم جزء من مفاصله ، ودخل الطبيب المكان باحثًا عن مخالفات ..

بالواقع لم تكن هناك مخالفات .. كانت هناك فظائع ..

لقـــد كـــان المشهد جديرًا بأفلام الرعب الحديثة أو مسرح (الجراند جوينيول) .. كانوا يتمنون رؤية حمير مذبوحة ليبدأ الكـــلام ويحرروا قضـــية مكتملة الأركان . لكن هـــذه الأشياء المذبوحة هنا ليست حميرًا ..

وارتمى الطبيب على ركبتيه يفرغ معدته . بينما بكى الشرطى هلعًا ..

للأمانة يجب أن نقول أن معظم العاملين ذهلوا بدورهم .. لم يكونوا عارفين بهذا الذى يتعاملون معه ، ويبدو أن دخول هذه الغرفة الرهيبة كان مقصورًا على عدد محدود من (المحظوظين) ،

بينما ما يراه العاملون فى المطبخ هـو قطع لحـم ممتازة تم إعدادها ليلاً بعد غلق أبواب المطعم ..

وخرج مفتش التموين إلى الزبائن الذين ملئوا أشداقهم بالطعام وقال وهو يرتجف :

ـ « لا تأكلوا !!.. ابصـقوا ما فى أفواهـكم .. أنتـم تأكلون بـ ... بشـ ... »

ثم سقط فاقد الوعى ..

* * *

أمام شاشة التلفزيون فى المساء راحت عبير تتابع أحداث هذه الواقعة المريعة ..

الغريب أن المطعم بدأ هذا النشاط الشيطانى منذ أيام معدودة .. اكتشف فجأة أن لحم البشر رخيص ومتوافر .. بدأ يتعاقد مع اللحادين ثم بدأ يقتل بنفسه ..

هذا الخبر المريع صار حديث الإعلام لعدة أيام. والحقيقة أن معدتها كانت متقلصة بما يكفى فلم تستطع سماع المزيد ..

على الشاشة ظهر الشمشاوى ، ورجال الأمن يحيطون به . لقد صار نجمًا .. أشهر وجه فى مصر حاليًا .. والإنترنت مقسمة بين من يطالبون بتمزيقه وإلقاء بقاياه للكلاب ، ومن يطالبون بشيه حيًا على أن يأكل هو أشلاءه كما حدث مع (ابن المقفع) ...

ينظر للكاميرا نظرات زائغة ويؤكد أن الشيطان هو من جعله يفعل هذا ..

ثم فجأة يغنى .. ويطرى رجال الأمن على يقظتهم ويؤكد أن مصر أم الدنيا .. واضح أنه مجنون . لو أمعنت التفكير فى الأمر لوجدت أن هذا منطقى .. هذه جريمة لا يقدم عليها إلا مجنون. كانت هناك فى الماضى أيام سعد ونفوس طاهرة تطعم زبائن المطاعم لحمًا فاسدًا .. ثم صارت النفوس أكثر شرًا فبدأ تقديم لحم الحمير .. اليوم يبدو أن إبليس نفسه هو الذى ابتكر فكرة لحم البشر هذه ..

كانت واقفة فى الصالة الضيقة ترمق الشاشة عندما راح الرجل يردد بعينين متسعتين :

ـ « لارلياهل سيهويل فلجانجل دا لا .... يها نتلى ... »

ماذا قال ؟

ثم بدأت عيناه تبيضان وهــو يشخص للســقف ، وراح يردد بلا توقف :

ــ « قولوا .. قولوا .. »

سأله المذيع فى حيرة :

ــ « قولوا ماذا ؟ »

لكن عبير فهمت ما يقال على الفور .. لقد كان الرجل يردد :

ــ « كتولو !... كتولو ! »



7 ـ أمور غريبة ..

عندما تقرأ الأخبار على شبكة الإنترنت هذه الأيام تجد أمورًا غريبة :

« شاب أمريكى يحرق نفسه حيًا فى بروكلين .. »

« نســاء أمريكيات يقمن مأدبة من القطــط ، ثم يعلقن باقى القطط على أبواب بيوتهن لتجف .. »

« حارس حديقة الحيوان فى مانيلا يلتهم ثعبان كوبرا كاملاً .. »

« سائق حافلة يخترق بسيارته عمدًا مظاهرة تمشى فى شوارع شيلى .. »

« الفنانة عزيزة جنح تلتهم أذن الفنان حمادة الحليوه فى مشادة كلامية .. »

« فى مؤتمر نســائى بالجزائر زائر تبادلت سيدتان مبــارزة بالأحذية .. »

« طيـــار أمريكى يقصف مدرسة فى فرجينيا .. لحسن الحظ حدث هــذا فى العطلة فلم يصب أحــد . يبــدو أن هذا نوع من الجنون المؤقت .. »

« شابان يفرغان بندقيتيهما الآليتين فى نزلاء مستشفى فى منيسوتا .. »

« لاعب الكرة عبده السيد يركل الحكم فى مؤخرته لأنه أعطاه بطاقة صفراء .. »

« القبض على تنظيم لعبادة الشيطان فى لندن . اشتكى الجيران مــن صخب يصــم الآذان ، واكتشفت الشرطة طقــوس قداس شيطانى يتضمن التضحية بأطفال رضع وعبادة بعلزبول .. »

« عصــابة مــن الرجــال المسنين تتحــرش بالفتيــات فى ستوكهولم .. »

« السفيرة الإيطالية تبصق فى وجه وزير خارجية الأرجنتين أمام عدسات الكاميرا .. »

« سائق قطــار فى كولومبيا يمشى عكس الاتجــاه ويصطدم بقطار آخر .. »

« مئة مــن قبائل الماورى يمشــون مشتبكى الأيدى ليغرقوا أنفسهم فى المحيط .. »

كانت عبير تطالع هذه الأخبار فى شىء من الطرافة والخفة .. فى كل يوم حدث غريب جدير بأن تحكيه لصديقاتها.. تبتسم ثم تنسى الأمر وتبحث عن حدث آخر ..

لكن الصورة بدأت تتجمع ببطء .. هنــاك وباء حقيقى من الجنون يحتشد .. كالنــار عنــدما تشتعل فى أكثر من بؤرة فى ورقة كبيرة ، ثم تلتحم بقــاع اللهب وتفاجأ بأن الورقة تتقلص وتتحول إلى رماد .. وربما تحرق أناملك ..

العالم يجن .. العالم يتحلل .. العالم يحترق .. لا شك فى هذا ..

لكنها كذلك كانت غارقة فى هواجسها الخاصة بصدد ما قامت به أو لم تقم به ..

هناك جو عام من الذعر فى شقتها .. فى البناية .. فى الحارة .. فى المدينة .. أمها مذعورة طيلة أربع وعشرين ساعة .. عندما ينتزع لسان جارتك على بعد أمتار منك فمن الصعب أن تعتقد أنك تعيش فى الفردوس ...

لكن ما كان يفزع عبير حقًا لم يكن السفاح .. كانت خائفة من نفسها هى .. لو كان السفاح يكمن بداخلها فهو ألعن أنواع الخطر .. خطر لا يمكن الفرار منه .. كيف يفر المرء من نفسه ما لم ينتحر ؟

رباه ..

هل تكون هى المسئولة عن مقتل بائعة السمك فى السوق ؟ معنى هذا أنها وحش تحرر ولا مناص من أن تسلم نفسها للشرطة بأى ثمن ..

كيف تعرف ؟.. كيف تضمن ؟

* * *

بعد يومين توفى عم حمزة البقال ..

أنت تعرف متجر عم حمزة البقال .. ذلك الشيخ الذى لا يبيع شيئًا تقريبًا ويقع متجره فى آخر الشارع جوار عمود النور . محل ضيق بحجم الكشك فيه أرفف تمتاز بأنه لا يوجد فوقها أى شىء على الإطلاق .. ربما بعض علب الثقاب .. ربما زجاجة زيت .. لا أكثر ..

يجلس الرجل طيلة اليوم يشاهد صورة رديئة ما فى تلفزيون (كاترون) عتيق أبيض وأسود صورته مشوشة تمامًا . ومن حين لآخر يبيع علبة سجائر أو علبة ثقاب . لابد أنه كان يقيم حفل عشاء فى بيته يوم يبيع علبة مسحوق غسيل ..

عندما ذهب الناس فى الصباح إلى المتجر وجدوه مفتوحًا ..

خلف الكاونتر وجدوا جثة البقال العجوز مشوهة ممزقة .. على وجهه نظرة رعب لا توصف ..

من الواضح أنه مات فى ساعة متأخرة ليلاً قبل العودة لداره ، أو هو فتح المتجر مبكرًا وهاجمه القاتل ..

لماذا يهاجم أحد هذا البقال الطيب ؟..

إنه كاليعسوب .. لا قيمة له ولا خطر .. لا أحد يسرق رجلاً كهذا لا يمكن أن يكون فى محله مبلغ أكثر من خمسة جنيهات .. لا يمكن أن يحقد أحد على رجل كهذا لابد أنه لم يؤذ نملة منذ ثلاثين سنة ... لا أحد يعرف له أسرة أو زوجة أو أولادًا ...

جريمة عبثية جدًا ..

والأسوأ هو أنه لا يوجد أى دليل على القاتل .

عبير كانت تمر فى الشـــارع عنـــدما رأت الزحام والمتكأكئين حول المتجر .. هذا يوم سعيد للأطفال .. الكثير من المرح . المرء لا يرى جثة ممزقة كل يوم وهذه مشاهد تسعد الأطفال جدًا كما تعرف ، لكنها تصيب الكبار بالغثيان ..

وقفت مذعورة خائفة من الاقتراب .. ثم أزمعت أن تدنو بضع خطوات .

لو رأيتها وقتها لقلت إنها القاتلة يقينًا . من يدرى ؟.. ربما كانت هذه هى الإجابة فعلاً .

وقفت من بعيـــد ترتجف .. زحـــام ناس .. رجال شرطة .. الإسعاف تحاول أن تجد لنفسها مكانًا ...

ثم تصلبت عيناها على شىء جوار باب المتجر .. رسم بدائى بطبشور أسود ... يمكن القول أن هذا رسم لأخطبوط .. أخطبوط بجسم بشرى ....

هذا هو التوقيع .. لا توجد أشياء كثيرة لها ذلك الشكل ..

يا ربى .. ماذا يحدث هنا بالضبط ؟



* * *

تتأمل وجهها فى المرآة عندما استيقظت ..

هل أكون قد فعلتها ؟

هل أكون قد تبدلت بعـد رحلتى المشئومة إلى آرخام ؟

يسهل تصور هـذا عن أن تتصور أن هناك حشدًا من القتلة يمارسون جرائمهم فى وقت واحـد وبشكل واحـد ويبعثرون علامات من عالم لافكرافت ..

عبير يا صغيرتى .. يجب أن تفعلى شيئًا ..

لو ذهبت للشرطة وقلت أنك تخشين أن يكون عالم لافكرافت قد غيرك ، فلسوف يطردونك وهم يضحكون ساخرين . يجب أن يكون المبرر أقوى ..

ماذا تفعل ؟

لن تجسر على قضاء يوم آخـر فى هذا البيت وهى تشك فى عقلها ..

هكذا حزمت أمرها .. بدلت ثيابها إلى ثياب ثقيلة مريحة ، ثم نظـرت إلى أمها النائمـة وابنتها فى حسـرة . لا بأس .. لقد اضطررت لهذا .. أنا آسفة .. سامحينى يا أمى ..

نزلت إلى الحارة ..

مشت بخطوات ثابتة إلى الشارع .. إلى المصرف الموجود على الجهة الأخرى. شقت طريقها وسط السيارات ..

هناك كان الشرطى يجلس على باب المصرف يرشف كوبًا من الشاى ويدخن وبندقيته جـواره . جـو التراخى المصرى العام باعتبار أنه لا يحدث شىء فى العالم على الإطلاق . دنت منه فنظر لها نظرة عابرة بلا فضول ثم عاد يشرب الشاى ..

الآن !

أسرعت لتلتقط البندقية الثقيلة ، وضمتها لصدرها ثم انطلقت تجرى هاربة !



8 ـ فلنتابع التلفزيون !

دسميس جيشيت بون دوسيف دوفما انتيموس ..

* * *

كانت تجـرى عالمة أنها بطيئة جـدًا ... عالمة أنها مرتبكة جدًا .. عالمة أنها تتعثر جدًا . تعـرف هذا جيدًا وتعرف أنهم سيمسكون بها خلال دقائق . لا يهم .. لقـد سجلت تهمة خطرة لا بأس بها .. عنـدما يمسكون بها سـوف يضعونها فى الحجز لفترة طويلة . أضمن الأماكن لقضاء الليل عندما تخاف من نفسك هو السجن .

ـ « أمسكوا بها ! »

ـ « لا تدعوها تهرب ! »

تشق زحام الناس فينظرون لها فى دهشة . فتاة محجبة نحيلة تركض وهى تنوء بحمل بندقية . هناك رجلا شرطة يركضان من بعيد ..

لكن أحدًا لم يحاول اعتراض طريقها ، ولعل البندقية جعلتهم يتوجسون ..

على أن هناك بطلاً واحدًا على الأقل فى كل شارع من الجبناء ، وقد مد هذا البطل قدمه أمامها فطارت فى الهواء لتسقط على ركبتيها ، وسرعان ما وجدت أن رجلين يقيدان يدها وقد انتزعت البندقية ..

فى قسم الشرطة وجهوا لها عشرات الأسئلة عن سبب تصرفها هذا فلم ترد . الضابط أشعل علبة تبغ كاملة وهو يحاول انتزاع كلمات منها ..

فى النهاية قالت وقد أوشكت على النوم من الملل :

ـ « أن كتولو عائد ! »

نظر لها فى حيرة للحظات .. ثم كرر السؤال :

ـ « من يا أختى ؟ »

ـ « كتولو .. »

راح يردد الاسم ساخرًا ثم اكتشف أنه يصلح ليوضع فى أغنية : كتولو كتولو الحقيقة .. كتولو باحبه من أول دقيقة .. على نفس لحن أغنية عبد الحليم حافظ القديمة .

كررها وضحك فى عصبية ، ثم أصدر أوامره الصارمة لرجل الشرطة الواقف أمامه :

ــ « ألقــوا بهذه المجنونة فى الشارع .. لــدى من المشاكل ما يكفى .. »

راحــت هــذه المجنــونة تحــاول المقــاومة بينما الشرطى يجرهــا للخــارج . هــذه على قــدر علمى المــرة الأولى التى يقاوم فيها السجين الخروج للحرية بهذه الشراسة . وقــد راحت تتملص وهى تردد ، على طريقة الفنــان أحمد توفيــق فى فيلم (شىء من الخوف) :

ــ « أنا لســت بريئة .. أنا كائن شيطانى ..!... أنت ترتكب خطأ جسيمًا ! »

ـ « للخارج ! »

وسرعان ما وجدت نفسها تطير خارج القسم ..

هؤلاء القوم بلهاء فعــلاً .. لقــد كانت لديه فرصة العمر لكنه يفوتها ببساطة لأنها لا تبــدو قاتلة . هــذا بلد ينخــدع بالمظهر جدًا ..

ماذا تفعل ؟.. هل تقتل أحـد المارة لتضمن هـذه المرة أن تقضى بقيـة حياتها فى السجن .. مستحيل .. لا يمكنها أن تفعل شيئًا كهذا بكامل وعيها وإن كانت تعتقد أن بوسعها عمل ذلك لو تم تغييبها .

سوف تعود للبيت وتفكر ..

* * *

أخرجت مجلد مؤلفـات لافكرافت وراحـت تقرأ ما كتبـه عن كتولو ..

عبارة « فنوجلوى مجلوناف كتولو رليـه وجانانج فتاجن » معناها « فى بيته فى (رليه) ينتظر كتولو الميت ويحلم » . عبارة رهيبة لكنها غير مفهومة قطعًا .

يتكلم لافكرافت عن حقـب حكمت فيها تلك الكيانات القديمة الأرض وكانت لهم مدن عظمى. وبقايا تلك المـدن موجودة فى بعض جزر المحيط الهادى . هم موتى لكن من الممكن أن يعودوا لو أن النجوم اتخذت موضعًا مناسبًا .

هم ليسوا من لحم ودم .. لهم أشكال لكنهم غير مكونين من مادة .. كلهم ينتظرون فى مدينتهم العظمى (رليه) بانتظار التعاويذ التى سيلقيها كاهنهم (كتولو) ..

هم ينتظرون فى الظلام ويحلمون ، فتمر عليهم ملايين السنين لكنهم يعرفون كل ما يدور فى الكون لأن طريقة تفاهمهم هى الأفكار. سوف ينتظرون حتى الوقت المناسب قبل أن ينهضوا .. هذا الوقت المناسب تسهل معرفته لأن البشر سيكونون وقتها مثل الآحاد القدامى ، أحرارًا لا يبالون بالخير أو الشر ولسوف يتخلصون من الأخلاق ويقتلون بعضهم البعض . وسوف يعلمهم الآحاد القدامى المزيد من وسائل المتعة حتى تصير الأرض محرقة من الجنون .

قال لافكرافت أن مركز هذه الديانة كان فى صحراء العرب حيث توجد (إرم) ذات العماد .. وإنه لم يرد ذكر لها فى أى كتاب ما عدا كتاب (نيكرونوميكون) الذى كتبه الشاعر المجنون (عبد الله الحظرد) .

فكرت عبير فى قلق ... « سوف يتخلصون من الأخلاق ويقتلون بعضهم البعض . وسوف يعلمهم الآحاد القدامى المزيد من وسائل المتعة حتى تصير الأرض محرقة من الجنون » .

فيم تختلف هذه الكلمات الرهيبة عن سيناريو الأيام الماضية ؟.. الكل يقتل الكل ومحرقة الجنون فى كل مكان ..

راحت تفكر فى قلق ..

الأمر ليس سهلاً وليس بهذا الوضوح . نحن نتعامل مع أشياء قابلتها فى فانتازيا .. خيـــال روائى عبقـــرى مع لمسة جنون لا بأس بها. هذه أشياء مفهومة فى عالم فانتازيا ، لكنها غير قابلة لأن تعبر إلى عالمنا . حدثت لها تجربة بسيطة فى الماضى حكيناها فى قصة (بين عالمين) ، لكنها كانت خبرة لم تتكرر .. لا يمكن أن تتكرر ..

ولكن هناك دليلاً آخر لا يدحض هو أن كل من ماتوا أو قتلوا آخرين ، لهم علاقة بعبارات من عالم لافكرافت .. لماذا يتردد اسم كتولو ؟

هل هى تحلم ؟.. لعلها ما زالت فى عالم فانتازيا ؟

ربما هذا من طراز كابوس داخل كابوس الذى تخافه كثيرًا .. قرأت يومًا عن تأثير دروست الرهيب Droste effect ، عندما ترى

رجلاً يعلق صورة على الجــدار .. فى الصورة ترى رجلا يعلق صورة على الجدار .. داخل هذه الصورة ترى رجلاً يعلق صورة على الجدار .. وفى الصــورة ..... إلخ دوامة شيطانية مرعبة بلا نهاية ..

ما تعرفه هو أنها لن تغادر البيت ..

ســوف تجلس أمام شاشــة التلفزيون وتتابع الفضائيات طيلة اليوم . سوف تتابع الحــوادث الغريبــة التى تحدث فى العالم ، وتحاول استنتاج شىء .. لن تخرج بأى ثمن . سوف تغلق الباب وتخفى المفتاح مع أمها .. ربما تقيــد نفسها لمقعد كما يحدث للمذعوبين قبل التحول فى الأفلام السينمائية ..

ربما يمكن أن تخبــر أمها بمخاوفها ، لكــن العجــوز الطيبة سوف تصاب بذعر .. ربما تقضى نحبها لو سمعت هذا الكلام ، دعك من أنها لن تفهم حرفًا ..

جلست أمام التلفزيون ..

تصلبت عيناها على كيس أســود صغير ملفوف بعناية ، وقد علقته على مسمار خلف التلفزيون ..

لا تريد أن تلقى نظرة على محتواه .. لا تريد ولا تجرؤ ..

بالمناسبة قد اختفى لسان جارتها العجوز أم سيدة .. لا شك أن هذا من أجل طقس ملعون ما . لكنها لن تحاول البحث عنه ..

* * *



9 ـ ظل فوق ليفربول ..

من رحمة الله بنا عجز العقل البشرى عن استيعاب كل محتويات الكون . نحن نعيش فوق جزيرة هادئة من الجهل وسط بحار سود من اللانهاية ، ولم نُخلق لنبحر بعيدًا . لم تستطع العلوم أن تؤذينا إلا قليلاً لكن يومًا ما سوف تجتمع قطع المعرفة المتناثرة وتفتح آفاقًا جديدة من الحقيقة .. عندها سوف نجن من هول الاكتشاف ، أو نفر من النور إلى حيث السلام والأمان فى عصر مظلم جديد .

هـ . ب . لافكرافت

* * *

لابد أن هذا هو الوقت الذى تثاءب فيه سائق الحافلة (لويد جيمس) ، وهو يفتح الباب ليصعد الركاب .

كان هذا عند أطراف (ليفربول) فى إنجلترا .. يمكنك أن ترى النوارس تحلق فى السماء ، وتشم رائحة البحر المالح من وراء

حاجز المبانى .. يمكنك كذلك سماع البحر لو أن الهدوء كان سائدًا ..

انفتح البـــاب وصعد أول الركاب ، وهـــو امرأة مسنة دفعت تذكرتها واتجهت للمقعد الخلفى . بعد هـــذا جاء شاب له شارب كث .. ثم ظهر شيخ منحن ..

هنا فقط بدأ لويد جيمس يفطن إلى أن رائحـــة الحافلة كريهة فعلاً ..

هذه رائحة سمك (زفرة) بلا شك ..

نظر فى اشمئزاز إلى الركاب الذين صعدوا ، وقال :

ـ « معذرة يا سادة .. هل هناك من يحمل معه حقيبة مليئة بالسمك ؟ »

سمك عفن كذلك .. لكنه لم يقل هذا ..

نظر له الركاب فى بلاهة كأنه أحمق ولم يقل أحدهم شيئًا . ثم تذكر أنه لم ير أى واحد من الركاب يحمل حقيبة .. لابد أن الأمر يتعلق بالقذارة الشخصية .. هناك صيادون فى هذه البلدة على كل حال .

صعد مزيد من الركاب. مع الوقت لاحظ أن الرائحة تتزايد .. صارت خانقة فعلاً وشعر بأنه سقيم ، ومد يده يفتح النافذة المجاورة له طلبًا للهواء ..

لم يكن لويد يحب هذه المحطة بالذات ، لأن معظم الركاب الذين يصعدون من سكان ضاحية قريبة يمتازون بغرابة الأطوار . هم ليسوا ودودين ولا يتكلمون كثيرًا ، لكنه لا يذكر أن رائحتهم كانت كريهة لهذا الحد . على كل حال هو عائد من إجازة مرضية ، ولربما صار أكثر حساسية .

انطلقت الحافلة فى الشارع القريب من الميناء ، ثم انحرفت يمينًا عبر طريق ملىء بالأشجار على الجانبين ..

رفع لويد رأسه للمرآة يتأمل الجالسين .. هنا شعر بعدم الراحة ..

لا شك أن كل من فى العربة يرمقه فى ثبات . مد يده يبدل وضع المرآة ليرى المزيد .. فأدرك أنه ليس واهمًا .. كلهم ينظر له ..

شعر بعصبية أكيدة ومد يده يخرج المنديل ليجفف عرقه ...

رائحة السمك بالفعل تسبب له الدوار ..

لماذا يشعر بهذا التوتر ؟.. ما الغريب فى ركاب فضوليين ؟

ثم فطن إلى السبب ... السبب أن عيون هؤلاء القوم محملقة لا تطرف أبدًا . زجاجية واسعة ثابتة .

بدأ يختلس النظر إلى الفتاة الجالسة بالقرب منه ، وعينه الأخرى على الطريق حتى لا تحدث كارثة .. أدرك بالفعل أن لها هاتين العينين الزجاجيتين .. لكن كذلك هناك شىء يشبه القشور على عنقها .. لا شك فى هذا ، والأهم أن فى أسفل عنقها شقين عميقين .. كأن هناك من حاول ذبحها بسكين ثم عدل عن رأيه .

ألقى نظرة إلى الرجل المسن الجالس قربه . لا شك أن موضوع القشور هذا يتكرر هنا .. ما الذى دها هؤلاء القوم ؟

ونظر ليدى الرجل فرأى مشهدًا غريبًا .. هناك غشاء يصل بين الأصابع وبعضها .. غشاء سميك يذكرك بأيدى الضفادع . لا شك فى هذا ..



الرائحة تتزايد والعرق يغمره أكثر ..

وماذا عن العجوز الجالسة جوار الرجل .. ماذا عن يديها ؟.. لا شك فى أن هناك ممسات كممسات الأخطبوط تبرز من الكم ..

ماذا أصاب هـؤلاء القـوم ؟.. مـن أين تأتى هـذه الرائحة الشيطانية ؟.. يده تتقلص على عجلة القيـادة ويبتلع ريقـه . ما يعرفه هو أنه داخل حافلة بها قوم غريبـو الأطوار ... قـوم هم مزيج من السمك والضفادع والأخطبوط ..

من أين جاء هؤلاء ؟

ماذا حولهم لهذا ؟

والأهم هو ماذا يفعل ؟

* * *

فى نفس الوقـت تقريبًا فرغ (مارسيل دوفـان) من رسم شجرة أسرته على تلك الخارطة التى علقها على الجدار . شرب كأسًا آخر من النبيذ وأشعل لفافة تبغ ثم راح يتأمل المشهد ...

يده ترتجف بلا توقف ..

يتأمل مجموعة من الخطابات والصور .. ووثائق وجدها فى العلية فى بيت الأسرة فى (نانت) .

ليته لم يفعل .. ليته لم يبحث عن أشياء تسوءه ..

يرى أجداده .. ثم أجداد أجداده ..

الشجرة تضيق لأسفل .. فى النهاية يصير عدد الأسلاف أقل ..

لكن أسـفل الشجرة توجد صورة مريعـة بالفعـل .. صورة لا تصدق ..

اليوم جاءته هـذه الصورة المرسومة من باتاجونيا ، فعرف من أين جاء جده بجدته عام 1635 ..

هناك رسـام كان على السفينة اسـتطاع أن يرسـم الصورة بدقة . وظلت الصورة فى حرز ثمين قرونًا إلى أن وصلت ليـد (مارسيل) ..

الآن هو يعرف من أين جاء ..

يعرف لماذا انتحر كل واحد مـن أجداده عندما جرب أن يجمع شجرة الأسرة كما فعل هو ..

لكنه الأخير .. ليس له أولاد .. ليس له أقارب ..

هذه المعلومات المريعة سوف تتلاشى للأبد ولن يراها شخص آخـر .

من الصعب عليه بعد اليوم أن يلمس لحم ذراعه ، أو يسمح لهذه اليد ــ يده ــ أن تدس الطعام فى هذا الفم .. ربما يشمئز الفم من اليد أو تشمئز اليد من الفم . لا يدرى بالضبط ..

شرب كأسًا أخرى ..

ثم اتجه إلى زجاجة الكيروسين وأغرق الورق والصور وكل شىء بالسائل قوى الرائحة ..

أشعل عود ثقاب وألقاه على هذا كله .. وراح يراقب الزهرة المغرورة الفاتنة تتوهج وتنمو ...

لن يقدر على أن يصير قربانًا لها ، فهو ما زال يخشى الألم برغم أن تطهير هذا الجسد الدنس بالنار شأن جميل ..

ترك الحريق المتأجج من خلفه واتجه للنافذة ..

وضع ركبته على الحافة ، ونظر لخلفه مرة أخيرة ثم وثب إلى الشارع ..

* * *

أما لويد جيمس سائق الحافلة ، فقد كان فى موقف أسوأ بكثير ..

كان يقود الحافلة بسرعة جنونية ، ويحرك المقود يمينًا ويسارًا كى يختل توازن مهاجميه .

الحقيقة أن ركاب الحافلة بدءوا ينهضون ببطء .. يمشى الواحد منهم ممدود اليدين نحوه والغشاء يغلف أصابعه .. ينظر له بعينى السمكة الشاخصتين اللتين لا ترمشان .. رائحة السمك الكريهة ..

العدد يتزايد .. يبدو أنه ما من راكب ظل فى مقعده ..

يصيح فى جزع بصوت راعش :

ــ « يا سادة .. ليجلس الكل ! »

لكن أحدًا لم يطعه .. وسمع من يردد بصوت مكتوم لزج :

ــ « لارلياهل سيهويل فلجانجل دا لا »

راح يكرر بلهجة كالتوسل .. لكن أحدًا لم يصغ ..



كان يدرك جيدًا ما سيحدث ... يعرف الحادث الذى سيقع حالاً . لكنه يفضل هذا على أن تلمسه يد لزجة باردة من تلك الأيدى ...

إن الحافلة مندفعـــة على حافة أخدود .. مكـــان خطيـــر جدًا ولا يناسب هذه المغامرات المخبولة ..

لا شك أن الحادث سيقع الآن .. سيقع لا محالة ...

نفروكانا اى حادوث ..

نفروكانا اى حادوث ..

10 ـ الجـزيـرة ..

رأت عبير الحافلة المحطمة على شاشة إحدى الفضائيات ، وخطر لها أن هؤلاء البريطانيين سعداء الحظ حقًا .. الحافلات تنقلب عندهم لكن من دون جرائم قتل طقسية وكتولو وكل هذا الكلام الفارغ ..

تناولت جهاز التحكم عن بعد فى كسل ، وداعبت الأزرار ..

هنا رأت صور فيضان عنيف .. فيضان يشبه بالضبط صور تسونامى القديمة ..

أين هـذا ؟.. فى الأقيانوسية .. فى المحيط الهـادى فى تلك المنطقـة المربكـة التى تتضمن الملايو وأستراليا ونيوزيلندا وبابو غينيا الجديدة ..

باختصار تلك الجزر التى ترى فيها النخيل المائل على الشط ، ويشربون جوز ثمار جوز الهند ، ويلبس رجالها تنورة مزركشة يلفونها حول نصفهم الأسفل بينما يظلون عراة الجذع ..

الموج يتعالى ويفور .. ثم تنطلق الموجة الكاسحة ..

المنازل تتهاوى .. السيارات تطفو وتصدم بعضها

مشهد شنيع هــو بالضبط منظر تسونامى .. لا يختلف عنه تقريبًا ..

فيما عدا أن المذيع يؤكد :

ــ « لا يوجد مركز سيزموجرافى للزلازل .. الموجــة قادمة من بقعة فى المحيط الهادى قرب ميكرونيزيا .. »

فركت عبير كفيها .

يبدو أن اللعنــة مستمرة إذن ... أشــياء غريبة لا تكف عن الحدوث ..

هناك ألف خبيــر يتكلم ، والمنظر يدل على مأساة حقيقية ... ربما كانت هذه صدفة على كل حــال . لا يمكن أن تتهم زيارتها للافكرافت بكل مصيبة فى العالم . الفيضانات تحدث منــذ وجــد الكون .. ويبدو لها أن هؤلاء القــوم فى جزر المحيط الهادى يعيشون فــوق غطاء إبريق .. يهتــز طيلة الوقــت بالزلازل أو ينفجر بالبراكين .. لو كانت مكانهم لهاجرت إلى أستراليا و...

ثم تذكرت أن أستراليا هى جزء من الأوقيانوسية !

* * *

فقط عنــد المســاء سجلت الأقمــار الصناعية مركــز هــذه الفيضانات ..

هناك قطعة من قاع المحيط ترتفع .. وهى التى سببت هذه الموجات القاتلة.. أما عن سبب ارتفاع قاع المحيط فسؤال علمى يمكن أن يغير كل ما نعــرفه من علم الجيولوجيا .. ســؤال لا يعرف إجابته العلماء ...

جهات علمية كثيرة اهتمت بالأمر .. هناك أكثــر من معهد يحمل كلمات (جيولوجيا المحيطات) فى اســمه اهتم بالأمر وكذلك ناسا ..

حلقت بعض الطائرات الأمريكية فوق مكان الموجات والتقطت بعض الصور ، ثم تم إرسال بعض قطع الأسطول الأمريكى إلى بقعة خارج الدوامات ...

كانت الحقيقة تتأكد فى كل لحظة .. هذه البقعة هى مركز هذه الموجات العاتية التى غيرت حياة الملايين ..

وبدا من صور الأقمار الصناعية أن هناك جزيرة قد ولدت .. جزيرة برزت للسطح من أعماق المحيط ..

وكان القرار الوحيد الممكن هو إرسال فريق من العلماء إلى تلك الجزيرة لدراستها .. لا شىء يفوق القدرة المعجزة لفريق ينزل على الأرض ويمشى فوقها ويلتقط صورًا ..

اليوم هو السابع من يوليو .. تحلق طائرة هليوكوبتر فوق مياه المحيط الثائرة .. متجهة إلى مركز هذه الدوامات الذى اصطلحت البحرية الأمريكية على تسميته (رأس الشيطان) ، وهو يختلف عن (رأس شيطان) عندنا فى مصر طبعًا ..

الحقيقة أن الأمر كان يوحى فعلاً بشيطان أخرج رأسه فثارت المياه من حوله .

على متن الطائرة تجد اثنين من علماء المحيطات ومصورًا وجيولوجيًا ...

الآن يرى ركاب الطائرة الجزيرة التى ولدت ..

يتبادلون النظرات ..

هذه الجزيرة عليها صخور ضخمة زلقة .. وعليها أكثر من تشكيل صخرى لا يمكن إلا أن يكون بناية .. بناية صنعها ذكاء شبه بشرى ..

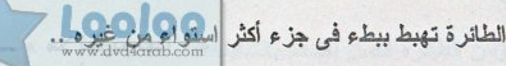
هل كان هنـــاك سكان على هــذه الجــزيرة التى برزت من الأعماق ؟ ... إذن كانت هذه أرضًا مأهولة يومًا ما وفيها بشر ، ثم غمرها المحيط .. اليوم قرر أن يقيئها ثانية ..

ماذا عن قــارة ليموريا ؟.. ألم يقولوا إنها كانت تمتد فى هذا الموضع تقريبًا قبــل أن يغمرها المحيط ؟ هــل هــذا الكشف البيولوجى هو كشف القرن ؟.. ربما عدة قرون كذلك ...

إن التاريخ يكتب من جديد فى هذه اللحظات .. قارة غمرت منذ ملايين السنين ، ثم تعود للسطح اليوم بما عليها من أسرار .. صحيح أن ظهورها أحدث كارثة بيئية ، لكن كنوز المعرفة التى ستتدفق منه ستتفوق على السيول التى أغرقت تلك الجزر التعسة ...

مساحة الجزيرة تقترب من نصف فدان تقريبًا .. بالفعل هناك جدار صخرى يشبه معبدًا عتيقًا .. لا شك أن يد بشرية هى التى شيدت هذا المكان ..

الطائرة تهبط ببطء فى جزء أكثر استواء من غيره ..



يترجل العلماء فى حذر فـــوق الأرض الزلقة ، وهم يصوبون الكاميرات .. الكاميرات التى تنقـــل للقيادة ولناسا صورًا كاملة لهذا المكان المخيف ..

ما يجب أن تلاحظـــه هو هـــذه الزوايا العجيبة للبنـــاء . كل شىء يختلف عـــن القـــواعد الهندسية المعروفة .. هنا الزاوية المنفرجـــة تســـاوى 90 درجـــة والزاويـــة القـــائمة تســـاوى 180 درجة .. حيث الخط الرأسى يمتد أفقيًّا .. وحيث تسقط الأجسام لأعلى ..

كل شىء كان غريبًا كأنها هلاوس المخـــدرات .. هـــل هى هلوسة جماعية ؟

النقطة الأخـــرى الغريبة هى أن رائحـــة المكان لعينة فعلاً .. هناك بخار أخضر يتصاعد من الأرض ، وهـــذا البخار يخنق الأنفاس. لكن ما اسم هذا الغاز الغريب ؟

فجأة صاح (موريسون) وهو المصور :

ـ « هلا نظرتم لهذا ! »

هرع الرجال ينظرون ..

كان هناك جدار صخرى عليه نقوش غريبة .. لغة مبهمة مما يطلقون عليه اسم Asemic.

ــ « أى لغة هذه ؟ »

والأسوأ من هذا تلك الرسوم المنقوشة على الصخرة .. رسوم فى معظمها تبدو كأخطبوط عملاق له جسد بشرى .. أو عملاق ضخم له رأس أخطبوط ..

هناك عقل بشرى فى هذا المكان .. أو ــ للدقة ــ هناك عقل .. لا نعـرف إن كان بشريًّا أم لا ، لكنــه قادر على تشييد بنايات وصروح وقادر على الكتابة والرسم ..

كل لحظــة تمر كانــت تفعـم الرجــال إثــارة وحماســة .. هــذا أهم كشف عرفــوه فى حياتهم . ســوف تحتــاج البشرية إلى أعــوام فوق هــذه الجزيرة لتصور كل شىء وتدرس كل شىء ..



ومن الطائرة اتصل أحدهم بالسفينة :

ـ « هذه جزيرة كانت عليها حياة فى زمن ما .. زمن سحيق جدًا ... غمرت تحت المحيط واليـوم ظهـرت من جديد لسبب غامض .. »

هنا هتف أحد رفاقه :

ـ « انظر !!! »

واستدار العالم .. هنا رأى أسوأ كابوس يمكن أن يحدث ..

كان هنـاك باب فى ذلك الصرح الحجـرى .. لم يكن يفتح كأبوابنا بل هو يفتح بالورب .

كان الباب يتسع .. وظهر ممس عملاق يزيحه جانبًا ...

وفى اللحظة التالية برز جزء من رأس هائل عملاق .. رأس بحجم الطائرة التى جاءوا بها ، وفى منتصف الرأس كانت عينان تشعان نارًا وتقطران دمًا .... هـل هو فيـل أم أخطبوط أم هو كائن لا قبل للبشرية به ؟

لقد كان هذا الشىء المريع يخرج ...

ليس ممسًا واحدًا .. هناك ممسان .. ثلاثة ..

صرخ المصور :

ـ « يا إلهى الرحيم !.... لا تجعل هذا الذى نراه حقيقة ! »

بالفعل تمنوا جميعًا أن يكونوا قد جنوا أو فقدوا عقولهم . هناك هول لا يتحمله العقل البشرى مهما كان صلبًا قويًا ...



11 ـ فى بيته فى (رليه) ..

ما وصل إلى السفينة وإلى مركز القيادة كان مجموعة من الصرخات .. صرخات لم يسمعوا مثلها من قبل ، وتشوهت الصور على الشاشات .. كهرباء استاتيكية تحجب كل شىء ..

كثير من الناس لم يصدقوا .

تذكروا خدعة أورسون ويلز الإذاعية للأمريكيين ، عندما راح يحكى عن هبــوط سفينة فضاء من المريخ .. يصف المذيع المشهد .. يصف انفتاح الطبق .. يصف خروج شىء له ممسات .. ثم يصرخ وينقطع الإرسال .

أفلتت دعــابة ويلز مــن السيطرة ، وعمت الفوضى الطرقات وخــرج الأمريكان كلهم مــن بيوتهم إلى السيارات مهاجرين ، وانتحر عدد منهم بسبب الذعر من الغزو الفضائى ..

تذكر الناس هذه الخدعة وحسبوها شيئًا مماثلاً .

لكن القيادات العليا عرفت ـ فى كآبة الأخ الذى يعرف أكثر ـ أن هذا كله حقيقى ..

واضح أن البعثة أبيدت .. سحقت .. ديست ..

لم تعد هناك بعثـــة .. لكن الكلمات الأخيــرة التى قالها الطاقم وصور الباب الذى ينفتح لم تفارق أذهان الأمريكيين ..

بعد ساعات حلقت طائرات الاستطلاع فوق الجزيرة الغامضة . أجمع العلماء الذين رأوا الصور على أنهم لم يروا شيئًا كهذا قط ..

كان هنـــاك شىء عملاق أسود ينمــو على الجزيرة .. الرأس وحــده فى حجم جبــل صغير .. هنـــاك ممسات أخطبوط تحيط بالرأس ولا شك فى هذا ..

بعد مشاورات عديدة انطلقت قاذفة وسرب مقاتلات من حاملة طائرات قريبة .

الواقع أن المشهد بدا للقادة كأنها لقطات من فيلم مسوخ . تلك الأفلام التى يحمل اسمها علامة تعجب ضخمة .. ربما أفلام جودزيلا كذلك حيث هناك شىء ضخم يولد من المحيط ، وتقذفه المقاتلات بصواريخها وقنابلها .. لكن لا يبدو أن هذا يؤثر على الإطلاق ..

كأن هــذه الأسلحة المرعبــة التى هى ذروة تقدم الترسانة الأمريكية هى أسلحة فشنك ..

احترسوا يا سادة فالرعب قد ولد ..

احترسوا يا سادة فالحياة لن تظل كما كانت .

احترسوا يا سادة .. فقد كنا ننام فوق هذا الخطر ونسبح فوقه ولم نتصور أنه موجود ..

احترسوا يا سادة فالأمر أكبر من مجرد مسخ يحطم عدة مدن .. نحن نتكلم عن احتلال العالم ..

فى كل نظام قمعى يوجد هامش لحيــاة البشر ، لكن مع هذا الميلاد لن يكون هناك بشر أصلاً ..

تنحدر المقاتلة الأمريكية نحــو ذلك الجسم العملاق .. تصوب صواريخها نحو الرأس وتطلق .. فى اللحظة التالية يطير ممس عملاق بسرعة البرق ليضرب القمرة ويمزق رأس الطيار .. لابد أن هذا يحدث بسرعة الضــوء أو شىء قريب من هذا . تحترق الطائرة وتهوى لتغــوص فى المحيط ويتصاعد جبــل من المياه الثائرة الفائرة ..

ماذا يحدث هنا ؟

هل هى نهاية العالم ؟

* * *

عبير رأت الصــور فى التلفزيون وراحــت ترتجف .. وكانت تعرف أكثر من سواها معنى ما تراه ..

لا شك فى هذا ..

كتولو !

الكابوس النائم تحت المحيط منذ ملايين السنين قد استيقظ .. بالضبط كما وصفه لافكرافت وتخيله ..

يمكنها أن تفهم ما حــدث فى الأيام الماضية . كان هناك نوع من الطقوس يراد به أن تعاد الحياة لهذا المسخ .. المسخ القادم من الفضاء فى زمن سحيق ، والذى اعتبره البعض إلهًا ...

جرائم القتــل الطقسى .. الجنــون العام .. أكل لحوم البشر .. بــلاد بأكملهــا تتحــول لمخلوقات بحــرية كمــا حــدث فى (إينزماوث) ...

كل هذه صلوات من نوع خاص بغرض أن يجد المسخ العالم مستعدًا .. لقد كان كتولو نائمًا فى بيتـــه .. فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن « أى فى بيته فى (رليه) ينتظر كتولو الميت ويحلم » .

يبدو أن النجــوم اتخذت الوضع المناسب الذى تمناه عبدالله الحظرد ، والذى كان لافكرافت يخشاه كثيرًا ..

مع كتولو سيصحو الآحاد القدامى ..

سوف يصير البشر كلهم عبيدًا لكتولو ، وســوف تسود ديانة الدم وتصير الأرض جحيمًا لا تقدر الشياطين على الحياة فيه ..

أيتها البشرية .. كنت تخشين جنكيز خان وهتلر .. تخشين أن يسود العــالم دكتاتور سفاح . اليوم ســوف يأتى كتولو فيدرك البشر أن هتلر كان لطيفًا وأقرب إلى ميكى ماوس ..

كانت معدتها تتقلص ، ودخلت الحمام عدة مرات ... هذا إسهال بلا شك ..

تجلس أمام السى إن إن تراقب الشاشة ، وتحاول فهم ما يقال بالإنجليزية .. فى عالم الواقع هى لا تتكلم إنجليزية جيدة ...

جنرال فى البنتاجون يظهر فخورًا يزدان صدره بالنياشين وشعر رأسه حليق بطريقة الطاقم المميزة للعسكريين .. جنرال سكوت مكوايرل المتخشب بادى القسوة ..

ويؤكد :

ـ « سوف نقصفه بالنووى .. We will nuke it »

هذه لحظة يحلم بها الأمريكان .. لذة القصف النووى ورؤية سحابة عش الغراب تتعالى . جو الكى الموحى بالنظافة وأن تحرق أعداءك ليتحولوا لغبار نووى .. هذا يغريهم جدًا ، وهو الانتشاء الذى أظهره ستانلى كوبريك بوضوح فى آخر فيلم (د. سترانجلاف) .

وعند العصر انطلقت الطائرات الأمريكية لتلقى قنبلتين ذريتين فوق هذه الجزيرة المعزولة لحسن الحظ.

عندما سقطت القنبلة الأولى ارتفعت مياه البحر إلى عنان السماء ، وفار المحيط ، ثم تصاعدت سحابة عش الغراب .. الكثير من الانشطار والكثير من البلوتنيوم واليوارنيوم والبروتونات و ... و ... منهج كامل فى الفيزياء يتحقق ...

عندما دارت الطائرة لترى ما حدث لم تفهم شيئًا بسبب الدخان الكثيف .. وألقت الطائرة الثانية قنبلتها ثم ارتفعت ...

عندما بدأت السحابة تنقشع صرخ الطياران هلعًا .. لقد كان هذا الأخطبوط المخيف يتزايد ارتفاعًا وضخامة .. هناك شىء مثل مخالب السلطعون يحاول أن يبلغ الطائرة ...

أما عبير فجلست فى البيت تراقب هذه المشاهد فى ملل ..

لماذا يضيعون وقتهم فى هذا الكلام الفارغ ؟

كتولو ليس من عالمنا أصلاً .. بل هو من عالم نجمى كابوسى بعيد . لا تنطبق عليه قواعدنا الفيزيائية ولا يحترق بالنار أو يتجمد بالبرد أو يتأين .. هذه قوانين أرضية تنطبق علينا فقط ، كما أن قوانين المرور المصرية لا تنطبق على من يقود سيارته بسرعة فى تكساس .

لا بأس ..

لا أحد يعرف ما تعرفه هى لهذا يجربون ويضيعون وقتهم ..

سوف يدركون بعد قليل أن هذا ألعن كابوس مر بالبشرية .. هذه هى نهاية العالم كما نعرفه ، ونهاية التاريخ الحقيقية لا كما وصفها الخواجة فوكوياما .

على كل حال كانت عبير قــد اتخذت قرارها. تعرف ما سوف تفعله .. المهمة كلها على عاتقها فإن لم تقم بها فلن يقوم بها أحد آخر ..

أغلقت الغرفة عليها ثم قامت بتثبيت أقطاب دى جى ــ 2 إلى رأسها وأخذت شهيقًا عميقًا ..

سوف تعود إلى فانتازيا ..

سوف تعود إلى آرخام .. .



12 ـ وحدى مع لافكرافت ..

قال لها المرشد وهو يضغط على زنبرك القلم اللعين إياه :

ـ « بهـذه السرعـة تعودين لفانتازيا ؟.. ماذا ترغبيـن فى تجربته اليوم ؟ هل لى أن أقترح عوالم يوسف إدريس ؟ »

فى تصميم قالت :

ـ « لافكرافت ! »

قال ما معناه (خير اللهم اجعله خيرًا) .. ثم تساءل عن السبب وراء هذا التكرار ، فقالت إنها قصة يطول شرحها .. العالم الذى نعرفه يتآكل ببساطة .. تريد معونة الرجل الكبير ..

هكذا دارت العجلة من جديد ..

مصحة آرخـام ... الأبواب تنفتح .. الحراس الغلاظ شديدو الشراسة .. الممـرات المظلمة والظلام والرائحـة الكريهة .. صوت الخطوات .. صراخ المعذبين فى أقبية المستنطق ...

فى النهاية تدخل إلى تلك الغرفة الضيقة الكئيبة ...

كان هناك مستمرًا فى الكتابة فى ضوء خافت ضيق يهبط من أعلى .. وكان يردد بصوت رتيب :

ـ « هل تحسب أن للزمن والقيمة معنى ؟؟ هـل تحسب أن هناك ما يدعى بالشكل والمادة ؟.. لقد اخترقت ورأيت حدود اللانهاية وأسعدت الظلال التى تعبر من عالم لآخر لتبذر الموت والعـدم . إن الفضاء ملكى أنا .. هـل تسمعنى ؟.. ثمة أشياء تلاحقنى .. أشياء تلتهم وتذيب .. لكنى أعرف كيف أتفاداها .. »

قالت عبير همسًا :

ـ « سيد هوارد .. »

لكنه واصل الكلام :

ـ « أنا كيان شبيه بالـذى تكونه أنت نفسك عنـدما يحررك النوم . أنا أخوك الضوئى . نحن نحيا فى فضاء بلا نهاية .. ونعيش فى زمن بلا نهاية .. ونعيش فى زمن بلا نهاية .. »

قاطعته فى إصرار :

ـ « سيد هوارد .. أرجو أن تخرس قليلاً ! »

رفع عينه نحوها كأنه لم يرها إلا الآن .. وتساءل :

ــ « لماذا ؟ »

ــ « لأن خيالك السقيم يتحــول لحقــائق .. إن كتولو يغــزو عالمى الآن ... »

اتسعت عيناه وراح يصغى لما تقول بينما شفته ترتجف .. يده ترتجف .. جفنه الأيسر يرتجف ..

راحت تحكى له القصة كاملة ، وهو يصغى باهتمام . فى اللحظة التالية ظهر جواره رجل كان متواريًا فى الظلال ، وله نظرة ليست أقل جنونًا . رجل آخر جاحظ العينين يبدو أصغر سنًا ..

سألت فى شك :

ــ « من هذا السيد ؟ »

تنحنح الرجل جاحظ العينين وقال :

ــ « أنا تلميذ لافكرافت .. اسمى (روبرت بلوخ) .. لو كنت قد قرأت قصــة (سايكو) أو رأيت فيلم هتشكوك الشهير فأنت تعرفين من أنا .. لقــد كنت أتبادل مراسلات منتظمة مع هــذا العبقرى وسمح لى بأن أستعمل اسمه فى أى قصة لى . إن تلاميذ لافكرافت كثيرون ومنهم أوجست ديرليث وبرايان لوملى وأنا .. »

قال له لافكرافت مفكرًا :

ـ « ماذا ترى يا روبرت ؟.. ماذا أفعله ؟ »

قال بلوخ على الفور :

ـ « أقترح أن تذهـــب لعالمها يا سيدى .. فى النهاية نحن مسئولون أخلاقيًا عـــن المسوخ التى صنعناها .. عندما تتحرر هذه المسوخ وتخرج للبشر يكون علينا أن نخلصهم منها .. »

ـ « ربما كنت على حق .. »

نهض لافكرافت ونـــزع عويناته ، ثم أغلق المجلد الذى يكتب فيه .. وقال :

ـ « ليكن .. يبدو أن هذا ضرورى فعلاً .. »

تساءلت عبير :

ـ « هل بوسعك أن تعبر لعالم الواقع ؟.. هل يمكنك مغادرة المصحة أصلاً ؟ »

ـ « لِمَ لا ؟.. أنا مجرد ذكرى .. فكرة .. لا تنطبق على القوانين المادية إلا هنا . قوانين فانتازيا لا تسرى إلا فى فانتازيا .. »

ـ « وهل تعرف ما يجب عمله ؟ »

ـ « لا .. لكن أعتقد أن بوسعى أن أفكر فى مخرج للبشرية .. إن الهول القـــادم لا يصـــدق ولا يوصف ، وأنا أكره أن أرى البشرية تحت سيطرة الذى لا اسم له .. »

ـ « هل يمكن أن تحاول كتابة نهاية لهذا الكابوس فى إحدى قصصك ؟ »

ابتسم ابتسامة مريرة :

ـ « للأسف كتولو أقـــوى من هـــذا .. إنه لا يخضع لمزاجى الخاص . فى رأيى أننى عندما كتبت عن كتولو كنت أصف ظاهرة طبيعية ولم أكتب قصة ... الكتابة عن جبل كليمنجارو لا يعنى أنى أوجدت هذا الجبل . فقط وصفت ما هو موجود فعلاً .. »

لم تفهم عبير جيدًا وشعرت أنها توشك على فقدان الوعى .. لذا نهضت مع لافكرافت ومشت معه إلى باب الزنزانة .. وفى هذه المرة بدا أن أيًا من الحراس لا يريد أن يسجنه فى آرخام .

عندما مرت عبيـــر عبر دوامة الزمـــن وعبرت بين عالمين ، أدركت فى النهاية أنها تقف فـــوق صخرة عالية والهواء يطير

أطراف ثوبها .. ترى منظرًا بانوراميا لساحل كئيب تصطرع فيه الأمواج مع طيور النورس التى تحاول البقاء حية ، بينما تشمخ صخور وسط المياه منذرة بالويل للقوارب التى تدنو . ومن بعيد رأت فنارًا يوحى باقتراب مصيبة ..

وأدركت كذلك أن الرجل غريب الأطوار لافكرافت يقف بجوارها .. وهو يهمس فى انتشاء :

ـ « بروفيدانس !!! »

* * *

قال لها لافكرافت وهما يهبطان فوق الصخور الوعرة :

ـ « أسعد أيام حياتى كانت فى بروفيدانس .. أيام امتزجت بالحلم والخيال وقصص ألف ليلة وليلة ، بينما ألعن أيامى كانت فى نيويورك . بروفيدانس ـ أى (العناية الإلهية) ـ هى عاصمة رود آيلاند فى نيو إنجلند . تأسست عام 1636 لتكون ملاذًا دينيًّا للراغبين فى حرية العقيدة .. حاليًّا يطلقون عليها (خلية نحل الصناعة) .. »

كان هناك كوخ فوق الصخور يطل على ساحل صغير .. بيت من أخشاب يبدو كأن نجارًا غير محترف قام ببنائه ..

بدا واضحًا أنه يقودها إلى هناك .. وهو يقول :

ـ « ما زال هــذا البيت الصغير قائمًا .. كنت ألهــو فيه فى طفولتى .. »

ـ « هــذا جميل .. لكن ما زلت لا أفهم ســبب مجيئنا له .. ليس هذا أفضل وقت لاجترار الذكريات .. »

ـ « بل هو الوقت المناسب .. فى بروفيدانس يصفو عقلى وأستطيع التفكير .. »

فتح الباب الخشبى فدوى صوت صرير يصم الأذن ، وتساقط غبار الأيام من فوق الباب .. رائحة القدم .. وفى الداخل رأت عبير فراشًا ومكتبًا ومدفأة وضع عليها إناء طهى .. وكانت هناك غرفة جانبية مغلقة . لكن لافكرافت لم يبد مهتمًا بهذا كله ..

دعاها إلى تحت .

تحت هذه كانت درجات خشبية تقود إلى بدروم . وبرغم وهنه الواضح وبرغم مشيته المترنحة ، فإنه أمسك بيدها واقتادها عبر الدرجات ..

وحدى مع لافكرافت ..

وحدى مع لافكرافت فى قبو كــوخ متداع مظلم رطب .. وهذا الكوخ فى بروفيدانس كذلك ..

إن فانتازيا تقودها فعلاً إلى مواقف عجيبة وأماكن أعجب .



13 ـ عودة البارون ..

كان القبو مظلمًا والفئران تتواثب ..

مد الرجل الكبير يده وأوقد شمعة . هذا الضوء الرقراق الرهيب جعلها تزداد تشاؤمًا .

هناك كان كم هائل من الأوراق المغبرة والملفات .. ملفات تحتاج إلى سنين لتفحصها .

هناك رفوف كتب وشموع . هناك ورقة معلقة عليها رسم تنين كتبت كلمات مبهمة عند ذيله :

ياى نجناه .. يوج سوثوث

هى لجيب

فاى ثرودوج ... جيب ليب

كانت هناك منضدة عليها أنابيب اختبار . قوارير لا حصر لها تشبه معامل السيميائيين الباحثين عن حجر الفلاسفة فى الماضى . وقد كتب على بعض القوارير كلمة (كستودز) وعلى بعضها

(ماتريا) . وكل زجاجة مسدودة بالمعـدن ... فى كل زجاجة مسحوق له لون خاص .

ما هذا المكان ؟

الأهم أن رائحـة كريهة تغمر كل شىء .. رائحـة لا يمكن تفسيرها بالقدم أو الزمن . ثمة شىء متحلل هنا لا شك فى هذا .

قالت له فى دهشة :

ــ « ما هذا المكان بالضبط ؟ »

ببساطة قال :

ــ « عرين نكرومانسى .. طبعًا .. هنا نمارس فنون استحضار معلومات الموتى .. عن طريق التعذيب . هلا قربت كفك ؟ »

مدت يدها فى حذر فتنـاول قارورة صغيرة ، سكب بعضًا من محتواها فى كفها .

هــذا مسحوق أخضر ناعم غريب الخـواص لأنه لا يلتصق بالكف .. نفضـت كفها فلم يبـق شىء مـن المسحوق عليه .

ما معنى هذا ؟

قال باسمًا :

ــ « هذه أملاح مستخلصة من الموتى . ونحن نعيد لها الحياة بشكل مؤقت .. (كستودز) أملاح مأخوذة من الحراس .. حراس سور هادريان . بعد آلاف السنين يمكنك العودة إلى هؤلاء الرومان .. »

كانت هى منهمكة فى حك كفها فى الجدار فى اشمئزاز ، وهى تردد عبارات من قبيل :

ــ « الله يقرفك يا شيخ ! »

لكنه لم يهتم ..

جلس إلى منضدة متداعية هناك عليها شمعة . أشعل الشمعة ثم جلس . ومد يده يتناول مجلدًا ضخمًا مصفر الأوراق مكسوًّا بالغبار ..

فتح المجلد وراح يجول عبر الصفحات ..

قال ويده ترتجف بلا هوادة :

ــ « الوهن العصبى .. الوهن العصبى قديم فى أسرتى . كان أبى فى غيبوبة طويلة وظللت عامين يقال لى إن أبى غاف الآن

فلا توقظه . أعتقد أنه كـــان فى المراحـــل الأخيرة من زهرى الجهاز العصبى . لقـــد ظللت أرتقب هـــذه اللحظة وأخشاها .. اللحظة التى يعبر فيها كتولو إلى عالمنا .. اللحظة التى يصحو فيها حيث كان غافيًا فى أعماق المحيط .. »

حكت عبيـــر شعرها فى عصـــبية وجلست أمامه على الأرض المغبرة ، وقالت :

ــ « لحظة من فضلك .. أنا موشكة على الجنون .. ما أعرفه هو أن كتولو هذا لا وجود له . هذا من بنات أفكارك لو سمحت لى بالتعبير .. إذن هو موجود فى فانتازيا وفاتك فى فانتازيا ، لكن ما دخله بعالمنا هذا ؟ »

ــ « كتولو قادر على العبـــور من عالم الخيال لعالم الواقع .. قلت لك إننى أصف جبل كليمنجارو ولم أخلقه ! »

تبًا لهذا الخبال !.. مـــن المستحيل الكلام مع هـــذا اللافكرافت بطريقة منطقية ، ففكرة الدمار ويوم القيامة الذى سيجلبه كتولو تسيطر عليه بشدة ..

نهض واتجـــه إلى القوارير الموضوعة على المنضدة ، فراح يتصفح الأسماء الملصقة على كل أنبوب ..

ثم هز رأسه وقال لها :

ـــ « أقترح أن تنامى قليلاً لتستعيدى قواك .. فى الوقت ذاته سوف أجد فى هذه الكتب طريقة القضاء على كتولو .. »

صعدت فى الدرج ، وأغفت فى الفراش غير المريح . الفراش الذى لم ينم فيه أحد منــذ 100 عام تقريبًا . هذا ليس بالشعور المحبب ..

كان نومها شنيعًا قلقًا .. العرق .. الصراخ .. صوت الأمواج من بعيد .. ما السر الرهيب الذى عرفه آرثر جرمين ؟.. لماذا يتوارى د. مونوز فى غرفته ولا يخرج أبدًا مع رائحــة النشادر وكل هذا البرد ؟.. وماذا عن السر الذى هبط على بلدة إينزماوث ؟.. ما الصفقة التى عقدها أوبيد مارش مع شياطين البحر ؟

نهضت من نومها شاعرة بظمأ شديد ..

العرق الذى أغرق الحشايا قد أفرغ جسدها من كل قطرة ماء فعلاً ..

بحثت عن ماء فلم تجــد .. أين لافكرافت ؟.. هل ما زال فى القبو كما هو ؟

نزلت الدرجات الكئيبة إلى القبو ، فكان ما رأته لا يصدق ..

كان لافكرافت هناك جاثيًا على ركبته ..

كان يمسك بقارورة مفتوحة ، ومحتويات القارورة مبعثرة فى كل اتجاه .. مسحوق أزرق ومسحوق أخضر .. يبـدو أنه خلط المكونات ...

يردد بلا توقف :

- « نفروكانا اى حادوث.. نفروكانا اى حادوث .. »

الأخطر هو تلك النجمـة الخماسية التى تتوسط المكان ، وقد رسمت بالطبشور .. هناك دخان ضبابى أخضر يتصاعد بكثافة من المركز .. لا تستطيع فهم ما يدور ..

هرعت لتمسك بكتفه فى هستيريا وتصيح :

ـ « مستر لافكرافت ... ماذا تفعل ؟ »

كان يرتجف كورقة وهو يردد بلاتوقف :

- « نفروكانا اى حادوث .. نفروكانا اى حادوث .. »

وهنـــا بدأت فى هلع تدرك أن هنـــاك شخصًا يتجســـد وســـط الدخان .. شخصًا يتحرك .. شخصًا يلبس دروعًا ثقيلة تجعله ضخمًا كتنين ..

ومن وسط الدخان رأت ذلك العملاق يخرج ..

نارى النظرات مشعث اللحية منكوش الشعر .. يلبس دروعًا تشى بأنه من سادة القرون الوسطى وعباءة طويلة يجرها خلفه وهو يخرج من المركز ... له رائحة خانقة غريبة كأنها الكبريت ..

الكـــوخ يهتز لخطواته الثقيلة ، بينما لافكرافت الراكـــع على ركبتيه يقول :

ـ « البارون فيرنكزى هنا .. إن هذا الشرف ليفوق قدراتى على التحمل .. »

يقف فيرنكزى والدخان يتصاعد منه أمام لافكرافت ، ويتصاعد صوت زفيره كأننا نتكلم عن جهاز رئة صناعية ، ويقول بصوت غليظ ولكنة رومانية واضحة :

ـ « هل لديك نبيـــذ ؟.. إن الرحلة الطويلة والغبار قد جعلا حلقى جافًا .. »

ــ « لا نبيذ يا سيدى .. لا نبيذ .. الخمر تتلف الأملاح ... لن نجازف .. »

دنت عبير راجفة من لافكرافت وتساءلت :

ــ « من هذا الفيرنكزى ؟ »

استدار نحوها بعينين متسعتين .. العينين اللتين يفزعك النظر فيهما ، وقال :

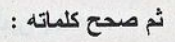
ــ « صه !... لقد استعدت كيانه عن طريق الأملاح المحفوظة .. أنا قد مارست النكرومانسى .. هذا الرجل جاء من رومانيا ومن وراء عالمنا .. »

حاولت ألا تنظر للبارون وقالت :

ــ « ما معنى هذا ؟ ولماذا تحتاج له ؟ »

ــ « البــارون فيرينكزى ســاحر عظيم مخيف القــدرات .. لو كان هناك من يعرف أسرار كتولو على وجه الأرض فهو هذا الرجل .. »




ثم صحح كلماته :

ـ « من كان رجلاً .. »

من كان رجلاً ؟

هذا يدل على أن فيرنكزى كان شيئًا منذ بضع دقائق .. بينما هى نائمة قام لافكرافت بأداء طقوس مخيفة استعادت هذا الشىء ...

كانت عبير تذكر شيئًا كهذا من قصة (تشارلز دكستر وارد) . كانت هناك مراسلات بين الرجل الشرير جوزيف كوروين وساحر رومانى يدعى (فيرنكزى) .. نعـــرف من ســـياق القصة أن فيرنكزى هذا مات منذ 150 سنة . لقد توصل كوروين إلى أسرار النكرومانسى وحول مزرعته المنعزلة إلى عرين لممارسة هــذا الفن المشئوم .. وبالطبع لم تكن كل نتائج النكرومانسى موفقة ـ تذكر ما حدث مع النعجة دوللى ـ فالعلم لا ينجح دائمًا .. هكذا كان يحرق نتائج كثيرة جدًا ، كما أنه كان يجلب كميات هائلة من اللحم للمزرعة ليطعم تلك المسوخ ..

يبدو أن لافكرافت لا يعرف كيف يعيد وحوشه إلى عالم الخيال ، لهذا استقدم هذا الفيرنكزى الشرير كى يستعين بعلمه ..

إن الصورة تزداد قتـــامة .. لكن مـــن يدرى ؟.. لربما كانت قاعدة أن الحديد لا يفله إلا الحديد صادقة هنا .. لربما كان الأخ فيرنكزى يملك حلاً ...

* * *



14 ـ كتولو فتاجن ..

فى هذا الوقت كان العالم يمر بألعن لحظات ممكنة ..

فى أكثر من بقعة بحرية بدأت المياه تفور ، ثم ارتفع إلى السطح شىء صخرى يشبه تلك الجزيرة التى وجدوا فيها كتولو ..

ومع المياه الفائرة كانوا يرون كائنًا ضخمًا آخر يتحرك ... كائنًا له سمات المخلوقات البحرية مع لمحة بشرية كابوسية .. أنت تأكل الإستاكوزا ، لكنك لا تتصور أن ترى إستاكوزا تحمل صفات بشرية وتمشى على قدمين ....

وفى معظم جزر المحيط الهادى تذكر الكهنة والأجداد عقيدة قديمة اندثرت منذ دهور . وهكذا خرج الكهنة يحملون عصيهم التى تحمل أخطبوطًا صغيرًا فى طرفها ووقفوا يلوحون للجميع .. عندها يجثو سكان القبيلة راكعين ..

يهتف الكاهن والزبد يسيل من شدقيه وهو فى حالة غيبوبة بفعل أعشاب غريبة :

ـ « كتولو .. كتولو فتاجن .. فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن .. »

عندها يهتف القوم وراءه :

ــ « كتولو فتاجن ! »

ينظرون جميعًا للبحر فى رعب وأمل . لعل هذا التوسل يمنحهم رحمة هذا المسخ العائد ، ولكن هل تتوقع رحمة من أخطبوط ؟.. كم مرة سلقت فيها الكابوريا الحية ووقفت تراقبها وهى تتلوى وتحاول الفرار بينما لونها يحمر وتهلك ؟.. هل شعرت برحمة ؟ هل رققت لها ؟... إذن لماذا تتوقع أن ترق لك هذه الكائنات البحرية وقد انعكست لعبة الأحجام ؟

أما العالم كله فراح يراقب المشهد معدوم الحيلة لا يعرف ما يفعله . الحقيقة أن الحكومة الأمريكية والروسية فجرتا عشرات القنابل النووية فى المحيط الهادى ، وقد زاد هذا موجات التسونامى بالفعل ، وبرغم هذا لم يخدش كائن واحد ..

فى نشرات الأخبار بدأ الاسم الحقيقى يتردد :

ــ « لقد جاء كتولو والآحاد القدامى !! »

لقد تذكروا ما كتبه لافكرافت .. وعرفوا أن كابوس هذا الأديب العبقرى يتحقق ..

كان الناس يصرخون ويجرون فى الطرقات ، وازدحمت دور العبادة بأناس باكين يدعـون الله أن يرحمهم .. أما من لا يملك إيمانًا فقد اكتفى بأن يلهب رأسـه بالرصاص أو يثب من فوق بناية عالية .. فضل العـودة لحالة الكربـون والنتروجين على انتظار الهول القادم . ربما يندم فيما بعـد على أنه لم يقتل نفسه عندما كان هذا ممكنًا ..

* * *

وفى الإسكندرية فوجئ النـاس بحشـد غـريب يمشى على الكورنيش ..

فى البدء ظن رجال الأمن أنها مظاهرة . لكنهم دققـوا النظر فأدركوا أنها مسيرة .. مسيرة لسكان من المدينة تتجه إلى نهاية الكورنيش ، وكل هذا مقبول ..

لكن لماذا تتصاعد منهم رائحة الأسماك هذه ؟

لماذا ينظرون أمامهم بعيون شاخصة متجمدة زجاجية ؟ لماذا يزومون ؟.. لماذا هم مغطون بالقشور ولماذا توجد أغشية بين أناملهم ؟

على الضوء الخافت القادم من أعمدة النور يدرك الناس الذين وقفوا أمام المطاعم والمقاهى أنهم يرون ظاهرة مروعة ...

ما سر هذا التشوه الذى أصاب الناس ؟

نفس هذا المشهد تكرر كثيـرًا فى أى مدينـة ساحلية ، وكان ينتهى على الأرجح بأن تتجـه الجموع إلى البحر وتغوص فيه مختفية ...

لابد أن كل بيت شهد قصة مخيفة لتغيرات غير مفهومة لأحد أفراده .. لابد أن هناك فترة طويلة كف فيها هذا الفرد عن الأكل والحياة الاجتماعية .. لماذا لم تعد عيناه ترمشان ؟ لماذا تنتشر هذه القشور على جلده ؟....

الرائحة الكريهة الشبيهة برائحة السمك الفاسد تملأ البيت ، ثم تأتى اللحظة التى ينطلق بها هذا الفرد إلى الشارع لينضم لمسيرة تحتشد فى الشارع ..

المجتمع يتحول لكائنات بحرية ..

هل يوجد شيء كهذا ؟.. هل من تفسير لهذه الظاهرة المريبة ؟

لا أحد يعرف .. قيل إنه مرض غريب ، وتكلم الأطباء عن داء (تصلب الجلد Scleroderma) الذى يبدل شكل الوجه إلى ملامح السمكة .. وتكلم أطبـاء الجلدية عن أمراض تغطى الجلد بقشور كقشور السمك ، لكن ظل الربط بين هذا كله صعبًا ..

لم يعرف أحـد أن الظـل الذى سـقط فوق إينزماوث يومًا ، قد سقط فوق الإسكندرية اليوم .. سقط فوق كل مكان ..

* * *

ـ « أريد بعض النبيذ ! »

قالها فيرنكزى وهـو يضرب المنضـدة بقبضته فى عصبية ، وعيناه تتقدان نارًا ، حتى إن عبير كادت تفقـد وعيها رعبًا .. لكن لافكرافت تماسك وقال من جديد :

ـ « النبيـذ يتلف الأمـلاح يا سيدى .. سـوف تتحـول إلى غبـار .. »

ــ « حلقى جاف .. عليكم اللعنة .. »

ثم نهض بجسده الضخم القوى ، والذى زادته الدروع ضخامة ، فاتجه نحــو عبير التى كانت ترتجف ذعــرًا فأمسك بمعصمها لتنغرس مخالبه الطويلة فى لحمها .. وقال فى غلظة :

ــ « نحيلة جدًّا .. قبيحة جدًّا .. فيرنكزى بحاجة للنساء لكن هذه لا تصلح البتة .. هى أقرب لسحلية كبيرة .. لقد رأى فيرنكزى صراصير أكثر حسنًا وإغراء ! »

قال لافكرافت بسرعة لينقذ الموقف :

ــ « هى لا تناسبك بتاتًا أيها الساحر العظيم .. دعها .. لدى أملاح أميرات رومانيات بارعات الحسن .. »

أطلق فيرنكزى معصمها فتنهدت للخــلاص .. هناك لحظات تغبط فيها المرأة نفسها لأنها قبيحة . تذكرت كيف كانت الأمهات السوفيتيات يلطخن وجوه بناتهن بالقاذورات قبل وصول الجنود النازيين ..

التحــرش شىء قبيــح .. لكن ماذا عــن تحرش ساحر ميت متحلل ضخم كهذا ؟

مشى فيرنكزى فى الكوخ مفكرًا وسأل :

ــ « هل أعدت (أوبيد مارش) لعالمنا ؟ »

ــ « نعم .. أملاحه كانت لدى .. »

كانت عبير تذكر الاسم .. أوبيد مارش هو الجد الأكبر الصياد الذى كان يعانى من نقص الأسماك ، ثم باع روحه للشيطان ونذر قومه لسادة المحيط والآحاد القدامى .. هكذا صار الصيد وافرًا وتزاوج الصيادون من سادة المحيط وأنجبوا منهم .. ومع الوقت اكتسب الناس سحنة إينزماوث التى تذكرك بالضفادع أو الأسماك .. لقد ولدت سلالة جديدة سرعان ما تعود لقاع المحيط من جديد ..

لكن لماذا يعيدون أوبيد مارش لعالمنا ؟ ما نفعه ؟

قالت للافكرافت همسًا :

ــ « أنت استعنت بفرينكزى .. هذا مفهوم . لكن ماذا عن أوبيد مارش هذا ؟.. لا جدوى منه لعالمنا ولن يقدم شيئًا .. »

قال لافكرافت فى كآبة :

ــ « هــو قريب بالنسب للآحاد القدامى .. تعرفين أنه تزوج منهم وذريته تنتمى لهم .. »

ـ « هل تعنى أنك ستستعمله كوساطة صلح مع كتولو ؟ »

ـ « بالطبـع لا .. لا يمكن التفـاهم مع كتولو .. لكن أوبيد مارش قد يجد أجوبة .. »

كانت تشعر بحيرة بالغة .. الأمـور تسوء .. ليتها تفيق من هذا لتدرك أنه كابوس .. كل شىء يوحى بذلك ، لكن ما ألعن الكابوس الذى لا نفيق منه ..

هو تكلم عن نهاية العالم كما نعرفه .. كان محقًّا فى ذلك .. كل شىء يتغير .. لم يبق حجر على حجر .. فى كل مكان هناك أشخاص يتشاجرون .. هنـاك عشاق يطلقـون الرصاص على حبيباتهم .. هناك طائرات تقصف المدارس فى وطنها .. المحيط يفور وتخرج منه تلك الكائنات المخيفة .. الناس يتبدلون إلى كائنات بحرية وينزلون فى المحيط ليختفوا نهائيًّا ....

البرق يشق السماء .. والرعد يهز الأرض تحت قدميها ..

لقد جاء كل هذا من فانتازيا ، لكنها تتوق إلى أن تهرب إلى فانتازيا لتنسى !



15 ـ إنـه الخـوف ..

الخوف هو أقدم وأقوى عاطفة عرفها الإنسان ، وأقوى وأقدم نوع من الخوف هو الخوف من المجهول .

هـ . ب. لافكرافت

* * *

الحقيقة أن العالم كله كان يتجه للجحيم ..

فى مكان ما هناك تجربة د. تلنجاست التى تتعلق بتنبيه الجسم الصنوبرى مما يسمح للإنسان أن يرى الحقائق الخفية فى العالم .. إن خمس حواس لا تكفى لرؤية العالم .. تلنجاست استطاع أن يهشم الحواجز التى تحيط بنا لنرى ما كنا لا نراه ونسمع ما كنا لا نسمعه . هكذا استطاع أن يرى ما يجعل الكلب ينبح فى الظلام وما يجعل القطط تحك آذانها .

لقد استطاع تلنجاست أن يثبت أن الجسم الصنوبرى الذى اعتقد علماء الغدد الصم أنه بلا جدوى .. أثبت أنه أهم عضو فى أجسادنا . وهكذا استطاع أن يرى العالم من حوله

مزدحمًا صاخبًا .. كائنات لم ترها عين من قبل ، وأجسام كقناديل البحر تسبح حولك وتلتهم بعضها ..

بالنسبة للناس قد جن تلنجاست .. لكنه فى الحقيقة قد اقترب فرأى .. رأى السر بوضوح تام .

* * *

وفى تلك القـــرى بالمنوفية رأى الفلاحــون ذلك الرجل فارع الطول يمشى .. رجلاً لم يروه من قبل ، وله ملامح لم يعهدوها قـــط .. يذكرك نوعًا بنقش فرعـــونى متحـــرك . كانوا يخشون الاقتراب منه لسبب لا يعرفونه ..

كان قد تجاسر ووقف عنـــد الترعـــة حيث كانت نساء القرية يغسلن الثياب أو يستحممن . لم يجسر أى شاب من أهالى القرية على الدنو من هنا ، فكيف يقبلون ذلك من غريب ..

لكن عندما تجرأ بعض الشـــباب ليفهموا من هـــو . وعندما لوحوا بالعصى مهددين ، عندها أدركوا أن هذا ليس بشرًا ..

لقد تحول إلى ما يشبه نجمة بحر خماسية عملاقة .. الرأس تخرج منه ممصات تتلوى فى كل اتجاه ..

لم يفهم هؤلاء المساكين أنهم جسروا على استفزاز (نيارلاثوتيب) .. واحد من الآحاد القدامى له القدرة على المشى فى الأرض والظهور كرجل عادى ..

إنه يتكلم كالبشر وليس وحشًا مثل كتولو ويوج سوثوث ... وهو خادم لأزوثوث .. لكنه يحول البشر إلى خدم له يتبعونه فى كل مكان ..

إن (نيارلاثوتيب) يتواجد فى أكثر من مكان فى الوقت ذاته ..

لقد خرج من قصة قصيرة للافكرافت ، ويبدو أنه جاء أرضنا هذه ليبقى ..

* * *

فى مكان ما فى كوخ ما فى جبال تمبست يغفو بطلنا جوار المدفأة مع رجلين شجاعين جاءا معه ليقابلوا الخوف الكامن Lurking fear ..

لا يعرف البطل أنه سيصحو ليكتشف أنه وحده وأن رفيقيه اختفيا ولن يرجعا . لكنه سيرى مشهدًا وظلاً يجعلانه يفقد

صوابه للأبد . وفى كوخ آخر ينتظر أحد الأبطال مع صديقه قدوم الخوف الكامن ..

يشق لسان برق السماء وينظر الصديق خارج النافذة .. يظل ثابتًا حيث هو برغم أن بطل القصة يناديه عدة مرات ..

عندما يدنو البطـــل من صاحبه ويدير وجهه يكتشف أنه قـــد انتزع بالكامل .. لم يعد لصديقه وجه ..

* * *

فى قبـــو بيت فى بوسطون ينهمك الفنـــان بيكمان فى رسم لوحات مفزعة لمسوخ تسكن شبكة المترو تحـــت المدينة . هذه المسوخ تخرج من وقت لآخـــر لتهاجم ركـــاب المترو وتلتهمهم وتمزقهم ..

يرسم رسومًا شنيعة فعلاً ، لكن الحقيقة التى لا يعرفها كل من يشاهد لوحاته هى أنه يرسم موديلات حقيقيـــة .. يرسم مسوخًا تخرج له من القبـــو ..

يقع هذا البيت فى شارع نصف مألوف تحيط به بيوت عتيقة . هـذا شـارع (تشارتر) ثم شـارع (هانوفر) .. عنـد ركن (جوى) ..

هناك بيت آخر فى شارع تحيط به مستودعات بنيت من قرميد ، ويعبره جسر من الحجر الأسود . ثمة نهر أسود دائمًا كأن دخان المصانع القريبـة يحجب عنـه الشمس للأبد . ومياهه خبيثة الرائحة . أخيـرًا تصل لممر مبلط بحجـر الإسكافى يقودك إلى شارع (دوسيه) .

فى الطابق الخامس وجد الملحن إريك زان إلهامه الخاص ، فراح يعزف الكمان بسرعة جنونية وصوت رفيع صارخ .. عيناه مجنونتان تذكرانك بيوسـف وهبى عنـدما كـان يبالغ فى أدائه ليستمتع بدور عازف الكمان المجنون .. ولاحظ سكان الشارع أن الغيوم تتجمع فى السماء وأن البرق يضرب ..

القطط وقفت فى الشارع محتشدة وراحت تموء .. وانتصب الفراء حول أعناقها ....

إن الشيطان نفسه يعـزف ، لكنـه يستعمل إريك زان ككمان كبير ...

النغمات تتصاعد ، وفى الوقت نفســه يرســم بيكمان بسرعة أكبر ....

وأمام بيت مهجــور فى بروفيدانس يتكلم رجــلان همسًا عن الذى لا اسم له .. تنفتح نافذة صغيرة فى العلية ويطل منها رأس تيس ..

وفى مختبر قريب يعكف عالم على إعادة تحريك الجثث ..

* * *

هل هى نهاية العالم فعلاً ؟

لا تنجبوا أطفالاً .. لا تقعوا فى الحب ..

لا تأتوا بأطفال أبرياء لهــذا الجحيم .. لا تبدءوا الحياة بينما الحياة ذاتها تنتهى ..

ابتعــدوا عن الأمل فهــو قاس .. إنه شبيه بكأس ماء بارد يوضع تحت شفتى ظمآن ثم ينتزع انتزاعًا ..

ابتعدوا عن النور وعن الشمس ..

عندما يكتمل مجد كتولو والآحاد القدامى لن تكون هناك شمس ..

لا رحمة .. لا شفقة ..

ســوف تندمون لأن هولاكو وهتلر وأتيــلا ليســوا هم الذين يحكمونكم ..

16 ـ أنت فعلت !

كانت عبير موشكة على الجنون ..

الأيام تمـر وهى فى بروفيدانس فى ذلك الكـوخ ، تراقب الموج وهو يضرب الشط ..

لا تفعل أى شىء .. فقـط تدخل الكوخ من وقـت لآخر لتجد لافكرافت جالسًا مع البارون يطالعان كتب السحر الأسود العتيقة ، وكان منظر فيرنكزى يثير رعبها .. أقرب شكل بشرى للغيلان .. كما أن علامات التحلل قـد بدأت غزو جلده وسحنته الكريهة . هناك عين قد سقطت من مكانها كاشفة عن محجر فارغ قبيح .. هناك شفة متآكلة وأصابع تساقطت ...

تراه وهـو يمشى فـوق الصخور وأسماله تتطاير من خلفه فلا تصدق أنك تراه فعلاً ..

جاء ذات مرة رجـل عتيق المظهر ، يبدو أقرب لرجال القرن الثامن عشر الذين نراهم فى السينما ، وكـان له ذات السمت المقلق المعـذب . سـمعت الرجلين يناديانه بلقب (مارش) ..

عرفت على الفور أن هذا أوبيد مارش الذى بدأ أسرة كاملة تعبد الآحاد القدامى ..

نظر لها نظرة نارية ، ثم دخل الكوخ ليجتمع مع الآخرين ..

أحيانًا كانت تدخل منطقة المقابر القريبة ، وتمشى بين شواهد القبور المتآكلة ..

هنا كانت تـرى راندولف كارتر يجثـو على ركبتيـه خارج المقبرة ويحاول سماع صوت صديقه الذى غاب داخل القبر ..

عادت إلى الكوخ وجلست فوق الصخور تراقب البحر ..

كان البارون فيرنكزى يقف على الشاطئ ويسكب مسحوقًا من قارورة صغيرة .. يسكبه فى صفوف .. بعض المسحوق يتطاير فى الهواء ليبلغها فكانت تتوارى فى رعب .. تعرف الآن مما يتكون هذا الشىء ..

فيرنكزى يدور حول المسحوق الذى بعثره .. كأنه فلاح فخور يتفقد حقله ..

ثم يقف صائحًا وقد فرد ذراعيه فى الهواء :

« نفروكانا اى حادوث .. نفروكانا اى حادوث .. »

يدوى الرعد فى الجو .. ينهمر المطر ..

ثم يتصاعد دخان أخضر كثيف من الأرض .. لا يمكنك أن ترى يدك ذاتها من كثافة الدخان .. صوت سعال .. هدير الأمواج ... البحر يثور وجبال سود تتصاعد ..

ثم ينقشع الدخان ببطء فتدرك أنها ترى جيشًا من المحاربين .. جيشًا كاملاً يمتد حتى البحر .. تميز هذه الدروع لأنها رأتها فى قصص (استريكس) .. هــؤلاء جنود رومان .. جنود رومان مدججون بالسلاح والدروع ..

فقط هناك مشكلة صغيرة هى أنهم بلا رأس ..

فى ظروف معينة قطعت رءوس هذه الكتيبة ، وتحللت الجثث ..

النكرومانسر المحتــرف لم يجد هــذه الرءوس واضطر للعمل من دونها .. مستحيل أن تصدق هذا لكنها تراه ..

هذا الجيش المخيف الذى يتكون من جنود أشداء بلا رأس .. هل هو قادر على مواجهة كتولو فعلاً ؟

ركضت وقلبها يتواثب إلى الكــوخ إلى حيث كــان لافكرافت عاكفًا على الكتابة كأن ما يدور بالخارج أمر طبيعى معتاد وممل .

ركعت جـوار المنضـدة التى يكتب عليهـا وظلت تلهث حتى استعادت أنفاسها ثم سألته :

ــ « فيرنكزى صديقك .. لقـد استعاد جيشًا مـن محاربى الرومان الذين هلكوا عند سور هادريان .. »

ــ « هذا متوقع .. إنه بحاجة لمقاتلين .. »

ــ « شكلهم مخيف .. لكن هذا لا يعنى أن دروعهم وسيوفهم قادرة على مواجهة كتولو وكل هـذه الكابوريا القادمة من تحت المحيط .. »

هنا توقف عن الكتابة ونظر لها فى جدية :

ــ « هـؤلاء لم يأتوا لمواجهـة كتولو .. هـؤلاء هم جيش كتولو !! »

ارتجفت ووثبت لتقـف على قدميها ونظرت له فى دهشة .. هؤلاء جيش كتولو ؟

ــ « هؤلاء جيش كتولو ؟ »

ــ « هؤلاء جيش كتولو ! »

ــ « هل تعنى أن ... هؤلاء جيش كتولو ؟ »

ـ « هذا ما أعنيه بالضبط .. »

ـ « إذن ما معنى هذا النكرومانسى واستحضار الساحر القديم واستعانتى بك ؟ »

قال لافكرافت بوجهـــه الكئيب الذى لا يعكس أى انفعال سوى الرعب :

ـ « ألم تدركى بعد دورك فى هذه القصة ؟... هل تذكرين الورقة التى أعطيتك إياها فى لقائنا الأول ؟.. كانت فيها عبارات .. هل تذكرينها ؟ »

كتولو فتاجن

فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن

ياى نجناه .. يوج سوثوث

هى لجيب

فاى ثرودوج .. يواه .... جيب ليب

زرو

دسميس جيشيت بون دوسيف دوفما انتيموس

لارلياهل سيهويل فلجانجل دا لا .... نها نتلى ..

ــ « كانت هذه هى الكلمات التى تستحضر كتولو لعالم الواقع .. تنقل عالمى كله إلى عالمك . كنت بحاجة إلى شخص قادر على عبور الثغرة بين فانتازيا وعالم الواقع ، وهذا الشخص سيحمل معه الكلمات .. عندها يتغير كل شىء ويبدأ عصر الإرهاب . كل شىء بدأ بعد ما تلوت تلك الكلمات . ألم تفهمى بعد أنك كاهنة كتولو العظمى ؟.. ألم تفهمى أن كل ما يحدث للأرض اليوم هو من صنعك أنت ؟ »

وثبت من جديد كمن لدغتها حية ، وصاحت :

ــ « إذن لماذا جئت بك ؟.. لماذا جلبت لى فرنكزى وأوبيد وكل شخصيات كوابيسك ؟ »

ــ « فى كل ركن من الأرض هناك جزء من قصصى .. سوف تجدين الناس السمك يجوبون المدن الساحلية .. سوف تجدين الذى لا اسم له .. نيارلاثوتيب يمشى وسط القرى المصرية .. الجنود الرومان الذين لا رأس لهم .. بيكمان يرسم لوحاته .. د. مونوز فى غرفته البـاردة الثلجيـة ... آرثر جيرمين يصـل لحقيقة أسلافه .. »

ــ « أنت مجنون ! »

– « كل فنان يأمل فى أن يرى العالم وقد تحول إلى صورة كاملة لأوهامه وأحلامه ، وأنا قد نجحت فى ذلك بفضلك .. كنت أرغب فى رؤية السواد فى كل مكان ، وقد فعلت أنت هذا .. »

– « لكنك كنت ترتجف خوفًا من هذا اليوم .. »

– « لكنى كذلك كنت أتحـرق شوقًا .. ألا تفهمين ؟.. لذة المحرقة النووية التى يحلم بها جنرالات البنتاجون ، وبرغم هذا يخشونها .. أخشى عصر الإرهـاب الذى كتبت عنـه لكنى كذلك أحلم به .. »

كانت هناك سكين ملقاة جوار المنضدة فأمسكت بها واعتصرتها فى عصبية ، ثم هبت نحوه محاولة طعنه ..

بالطبع ما كانت لتقدر ، والأهم هو أنه لم يحرك ساكنًا .. ظل ينظر لها فى ثبات وقال :

– « يمكنك قتلى .. أنا ميت فعلاً منذ عام 1937 .. ما ترينه أمامك هو ظل رجل .. ذكرى .. لا أحـد يقدر على قتل ذكرى . سوف أموت ويبقى عالمى للأبد ، وأنت من صنع هـذا العالم .. لقد استمد وجوده منك .. »

كانت موشكة على الجنون .. سقطت المدية من يدها ....

لقد خدعها .. عبث بها وجعلها تأتى بكل هذه الكوارث للعالم ..

اليوم صار العالم مكانًا أروع ، بما فيه من جرائم قتل طقسية ومطاعم تقدم لحم البشر وجنود رومان بلا رءوس ..

كيف كان الناس يشكون حالهم قبل هذا ؟

17 ـ يجب أن نعمل شيئًا ..

وضعت عبير نصل المدية تحت عنقه وضغطت وقالت :

ـ « سوف تكتب .. »

ـ « أكتب ماذا ؟ »

ـ « تكتب عن زوال كتولو .. سوف تكتب عن زلزال فى المحيط .. هذا الزلزال يؤدى لخلق فجوة ، وهذه الفجوة تبتلع كتولو ليعود كما كان منذ ملايين السنين .. »

ـ « هذا تفكير جيد .. لكن هل تعتقدين أنه كاف ؟ »

ـ « سنجرب .. »

ـ « لو أن هناك نمرًا يتربص بك ، وكتبت أنا عن نمر يجد نفسه فى قفص ، فهل تتوقعين أن يختفى النمر ؟.. لقد صار كتولو خارج نطاق السيطرة أو أحلام الواهمين .. »

ضغطت بالسكين أكثر فقال :

ـ « يمكنك قتلى ولسوف أقضى سعيدًا برغم أننى لا أعتقد أنه من الممكن قتل ذكرى .. عشت طيلة حياتى أكتب عن عبد الله

الحظرد والعزيف وعالم كتولو .. اليوم تحقق هذا وكتولو سيحكم العالم .. »

كانت تفكر جديًّا ..

كلامه صحيح فعلاً ...

* * *

وهنـــاك وقفـــت على الشط فـــوق صخرة عالية ترمق البحر المتلاطم تحتها ..

هى صارت كاهنة كتولو ..

هى التى جاءت بالآحـــاد القدامى من تحـــت المحيط ليحكموا الأرض ..

« أنت من صنع هذا العالم .. لقد استمد وجوده منك .. »

هو قال هذا ..

« ألم تفهمى بعد أنك كاهنة كتولو العظمى ؟.. ألم تفهمى أن كل ما يحدث للأرض اليوم هو من صنعك أنت ؟ »

لكن معنى هذا أن كل هذا الهول صار مرتبطًا بوجودها هى .. هى التى تحدثه .. هى مصـــدر الوباء . رحلتها المشئومة إلى

فانتازيا هى التى جلبت أهــوال الرجــل ذى الخيــال العبقرى ، لتسكبها على أرضنا المسالمة الوديعة .....

كانت تعرف ما سوف تقوم به ..

الانتحــار عمــل مقيت لكنه قــد يكون أقرب إلى النبل لو كان سينقذ الأرض من عصر الظلام القادم .. لعل الله يغفر لها لأنها أرادت أن تعود الشمس للعالم والرحمة لمخلوقاته ..

ســوف تراهن على أنها مصدر ما يحدث .. تراهن على أنها عندما تمــوت ، ســوف يزول فرينكزى ويغــوص كتولو ثانية ويتحلل أوبيد مارش ويعود الناس السمك لطبيعتهم ..

سوف تراهن على هذا ..

الخطر كل الخطــر ألا تموت ، أو يظــل الكابوس حيًا ويجد فرينكزى بقاياها ، لهذا ســوف تثب فوق الصخور .. ســوف تتهشم جمجمتها قبل أن يغيب جسدها فى المحيط للأبد ..

أغمضت عينها وتمالكت شجاعتها ، ثم وثبت ....

لن تطول لحظات الألم ..

اصبرى ..

* * *



لكنها شعرت بيد رفيقة تمسك بها ..

هناك من يبعدها عن السقوط ...

تفتح عينيها مذعورة لتجد المرشد .. كان يمسك بها فى حزم وهو يبتسم .. وقال شيئًا على غرار :

ـ « أنت مخبولة تمامًا ! »

ـ « هل تعنى أنى فى فانتازيا أم دنيا الواقع ؟ »

ـ « كل هذا فى فانتازيا .. أنت تعرفين الكابوس داخل كابوس داخل كابوس .. تأثير دروست الرهيب .. أنت لم تعـودى لعالم الواقع قط .. »

ـ « لم تكن هنـاك بائعـة سـمك ولا أم سيدة ولا كتولو فى المحيط ؟ »

ـ « ولا أكلة لحـم بشـر ولا مسيرات للنـاس السمك فى الإسكندرية .. كل هذه مغامرة واحدة طويلة .. »

تنهدت وارتجفت بالبكاء ، ثم قالت فى ارتياح :

ـ « لقد زال عبء ضخم عـن كاهلى .. كنت أمقت لافكرافت ولا أطيق سماع اسمه .. »

ـ « الرجل كان صاحب خيال مخيف معقد فعلاً ، لكنه لم يكن شريرًا .. كان يخشى الشر مثلنا جميعًا .. وحساسيته المفرطة جعلت هذه الفكرة تعذبه ليلاً نهارًا .. »

تنهدت وقالت :

ـ « كان عبقريًا .. »

ـ « هو وإدجار آلان بو عميدًا الأدب القوطى .. أما عن أسلوبه فشىء لن تدركيه لأن إجادتك للإنجليزية لا تسمح بفهم مدى عبقريته .. »

كانا يهبطان فوق الصخور ..

ومن بعيد رأت سفينة تنتظر ..

قالت له :

ـ « إلى أين هذه المرة ؟ »

قال وهو يمد يده لها فى رفق :

ـ « إلى جزيرة سانت هيلانه .. لدينا موعد مع جريمة قتل .. »



تمت بحمد الله

نادى المحاربين الجـدد

نواصل اللقاء مع مواهب القــراء كمــا اعتدنا ، وهم الذين يحاولون أن يسابقوا الريح بخيولهم كى يجلبوا لفانتازيا أرضًا وآفاقًا أخرى . كما نعرف فإن مملكة فانتازيا لن تنتهى أبدًا لأنها تنمو فى ذات اللحظة التى نكتب فيها عنها .. سأحاول هنا أن أقدم بعضًا مــن أفضل ما جاء لى فى الفترة الأخيرة من أعمال القراء :

مــن أفضــل الأعمــال التى وصــلتنى قصــيدة لفتــاة قالت إنها فى السابعة عشرة مــن عمرها ، وقــد بدا لى رنين الاسم (منة شــتا) مألوفًا .. فعــرفت أنهــا من بســيون بمحافظة الغربية .. هــذه هى القصيدة التى نشرتْها فى كــذا موضع من الإنترنت :

فتيات الربيع

هاته الفتياتِ اللواتى
نبتنَ على شجراتِ السكاكرْ
هؤلاء البناتِ اللواتى
رسمنَ بأحبارهن الفراشاتِ ملء الدفاترْ
هؤلاء اللواتى يطرن سرورًا إذا ما مشينَ
وحين المزاحِ يقلدن مشى العساكرْ
هؤلاء اللواتى .. اللواتى .. اللواتى
عرفنَ السعادةْ
ومنذ الطفولةِ كن ينمنَ وأحلامُهن بديلُ الوسادةْ
ينمنَ على الدفء والأمنياتْ
يقمنَ على الحب والأغنياتْ
وكوبُ الحليب .. حلى القصصْ
وضوءُ النهارِ .. ووقتُ الحصصْ
مرورُ الدقائقِ .. صوتُ الجرسْ



ليلعبنَ فى التل وسطَ البناتْ
هؤلاء اللواتى .. اللواتى .. اللواتى
لديهن خلانُ لهوِ .... وهرةْ
وأوقاتهن امتلت بالمسرةْ
ويضحكنَ طيلَ النهارِ إلى أن
ملأنَ من الفرحِ ألفى جرةْ
يجىء النعاسُ على حين غِرةْ
فيخلدنَ للنومِ والأمنياتْ
فتيات الربيع

* * * *

هؤلاء اللواتى اللواتى اللواتى
لديهن ذات العيون البريئة
بمشيتهن الخجول الجريئة
وأسمارهن التى لا تُمل
ولا تعرفُ الحزنَ ....
.... والاكتئابْ

هؤلاء اللواتى يهبنَ السعادةْ !

ويملكنَ أفياضَ حب لهذى الحياةْ !!

فتيات الربيع !..........

هؤلاء اللواتى .. اللواتى .. اللواتى

هؤلاء اللواتى كبرنَ كثيرًا وصرنَ عرائسْ

يجاهدنَ كى يخلصوا من طباعِ المدارسْ

ويلبسن وجهَ النساءِ الأنيقِ الرزين

وما زال حبرُ الطفولةِ فوق الملابسْ

هؤلاء اللواتى اللواتى اللواتى

عرفنَ المساءَ وضوءَ القمرْ

ولونَ الفــَراشِ وطعمَ المطرْ

وعطر تفتح وزهر تنفس

وقصةُ حب تعرشُ فوقَ القلوبْ

وتُسنمَــعُ من أجلها الــ ....

.... أغنياتْ

فــ تـــ ى ا ت .. الـــ ر بـــ ى ع !!!!

هؤلاء اللواتى



تسابقنَ بينَ الشجرْ

جلسنَ يغنينَ وقتَ السمرْ

....

هؤلاء اللواتى يعشنَ بأعمارهن

ويملكنَ روحَ المرحْ

وليس لديهن ذاكَ الغلاف الحزينْ

وليس لديهن ....

ليس لديهن حين يحل المساءْ

ويستشعرُ المرءُ هذا الحنينَ إلى الذكريات

فليس لديهن هذا التراثَ المريرْ

....

هؤلاء اللواتى عرفنَ الربيعْ

هؤلاء البناتْ

السكر نباتْ

منة شتا

* * * *

قــرأت القصيدة وشعرت بقشعريرة حقيقيــة .. هــذا الجو المرهف الرقيق الذى يذكرك بعالم ورســوم سوزان عليوان ، وخاصة المقاطع التى تطرب لها النفس مثل « اللواتى .. اللواتى .. اللواتى » أو التعبيرات البليغة التى تجمــل صــورة كاملة : « لديهن خلانُ لهوِ ...... وهرةٌ .. وأوقاتهن امتلت بالمسرةْ » . هذا هو الشعر كما أعرفه ، وكما يجب أن يكون . لهذا أرسلت أقول لها إننى لا أصدق أنها كاتبة هذا الشعر وأننى (مش راكن الفيــل قدام البيت) إلخ .. فقــط أنا فشلت فى العثور على اسم الشاعر الأصلى الذى تسرق قصائده على شبكة الإنترنت . هنا أرسلت لى المزيد من قصائدها فلم يعــد لدى شك . هى صاحبة هذا الشعر فعلاً ، ولا أنكر أن فتيات الربيع أفضل قصائدها ، لكن كل شعرها ساحر غريب .. خذ هذه القصيدة مثلاً :



أنا العنقاء

أنا العنقاء فى حزنى
وما حزنى سوى مهدى
وما النار التى ألقى
سوى التمهيدِ كى أهدى ..
لهذا الكون در الدر
من شعرى ومن شهدى

وما كل الذى ألقى
سوى طرقٍ على الصلد
سوى دقات مطرقةٍ
تزيد صلابة قدى

أنا العنقاءُ أحرقنى
إلى صنيعة تسدى
أنا العنقاء فاحسدنى
وهل أُملِكتَ فى الدنيا سوى حسدى ؟!

أنا العنقاءُ لا شيء
بكل الأرض يكسرنى
ولدت ربيبة النخلاتِ فى وطنى وفى بلدى
ويبقى شامخًا رأسى
إلى الأبـــدِ
أنا العنقاءُ بنتُ النارِ
أنهض من ثرى جسدى
وأجرع حقد حسادى
لأولد من دجى الحقدِ
أنا العنقاءُ أحزانى تشكلنى
أنا مصرية النزعاتِ والأهواء والعشقِ
أنا العنقاءُ من مثلى سوى نفسى ؟!
أنا منة ..!

جميلة جـدًا .. لكن لم أفهـم بصراحة مقطع « أنــا العنقاءُ أحرقنى .. إلى صنيعة تســدى .. أنا العنقــاءُ فاحسدنى وهـل أُملكتَ فى الدنيا ســوى حسدى ؟! » . أنصحك يا منة ألا تتقيدى

بالشعر العمودى .. أنت تكونين فى أفضل حالاتك عندما تلتزمين بالتفعيلة لكن ليس طول السطر .. كذلك الألفاظ الخفيفة اليومية أجمل لديك من الألفاظ الجزلة القوية . أعتقد أنك عندما تكتبين الشعر الفخيم مثـــل شعر المدرسة لا تكونين نفســـك .. البساطة الطفولية تناسبك أكثر ..

منة اكتشاف رائع .. لم أقرأ شعرًا لقارئ يسبب لى القشعريرة وتطرب له نفسى هكذا ، منذ زمن سحيق . فيما مضى قدمت هنا شاعرة دمنهور الرائعة (هند خالد) صاحبة « وعلى من يدخل مملكتى أن يدخلها بقوانينى » لكنهـــا توقفـــت للأسف .. اكتفتْ بدراســـة الأدب بدلاً مـــن إنتـــاجه ، وهى حاليًا مدرس للأدب الإنجليزى بالجامعة . ولكنى أتمنى من منة ألا تتوقف أبدًا لأنها خسارة فعلاً .

* * * *

مقال لصديقى باسم سليم أوافق على ما فيـــه ، وقـــد تناول القضية من منظور جديد .. المشرحة تتكلم عن الأحداث المؤسفة التى تعيشها مصر :

نداء من المشرحة ..

بدأت منذ ثلاثة أيام أحداث جديدة على مصر .. أحداث لم تذكر فى تاريخها كله ..!

أنظر إلى هذه الأحداث .. وأنظر إلى ثورة 1919 حينما كان شعار الثورة « يحيا الهلال مع الصليب » ..

أنظر إلى أحداث اليوم وأنظر إلى أحداث ثورة 25 يناير التى قامت من أجل تحقيق « الحرية والتعبير عن الرأى » ..

هل من قام بهاتين الثورتين مصريون من كوكب آخر .. أم هم المصريون الذين كان أجدادهم فى 1919 .. وكانوا هم من قاموا بثورة 25 يناير ؟!

نعم .. هم ولكن ظهرت أفكار جديدة عليهم .. نسوا فكرة التعايش الذى دعا إليه الإسلام .. وفكرة الحب والمودة التى دعت إليها المسيحية ..

وهذه الأفكار هى « الشماتة » و« العنصرية » و« التصفية العرقية » و« حب النفس على حساب نفس أخرى » .

أنا لا أعلم ما أسباب الأحداث الحالية غير هذه الأفكار السوداوية التى أصبحت مثل الدوامة تلتهم مبادئنا وإنسانيتنا

بالتدريج .. ولكن ما علاقة هذا الكلام باسم المقالة .. « نداء من المشرحة » ..

إن المشرحة هى العــامل المشترك الأساسى الذى لم يتغير فى كل الأحداث التاريخية .. ولكن فى كل الأحــداث السابقة عــدو مشترك يقف أمامه الجميع ..

يذهب الجميع إلى المشرحة لاســتلام ضحايا وشهداء هــذا الحدث الذين ضحوا بأنفسهم من أجل قضية واحدة ..

أما اليوم تذهب إلى المشرحة لتجد جدالاً كبيرًا (خناقة بالكلام) على بوابتها .. فهذا يقول أن ضحيتى هــو من كان على حق .. وأنه كان ينادى بالشرعية والدين الإسلامى الحق .. ومن من قتله كفار فى جهنم وبئس المصير !!

وهذا يقول أن ضحيتى هو جندى مصرى كــان يريد مصلحة الوطن وحمايته من الإرهابيين .. وإن مـــن قتله فى جهنم وبئس المصير !!

وهذا يقول أن ضحيته هو مسيحى وذنبه أنه مسيحى ويريد حقه فى وطنه .. وأن من قتله فى جهنم وبئس المصير !!

وهذا يشمت فى هــذا .. وهذا يشمت فى هذا .. وهذا يشمت فى هذا !

وينسون أن ضحاياهم ليس لهم قضية بل هم أشخاص يتبعون الأوامر مــن حيوانات بشــرية مات ضميرها .. واستيقظ حبها لنشر الدم والفتنة !

ويتحول الجدال إلى مشاجرة (خناقة كبيرة) .. ويصبح من كان يريد استلام جثــة .. هــو جثــة يأتى آخر لكى يستلمها .. وتدور الدائرة مرة أخرى !!

أنا ومثلى قليلون (كارهو الدم) نريد أن نعلم أين هى القضية التى أشعلت الفتنــة .. وجعلت مســلم يكفر مســلمًا .. وجعلت من مسلم آخــر إرهابيًا .. وجعلت المسيحى لا يعلم أيــن الحق فى أرض المواطنــة .. وجعلت المصرى شخصــية (شماتة) (عدوة للإنسانية) و(محبة للدمار والدم) ..

وهنا تتحدث المشرحة بندائها ..

نداء من المشرحة ..

أفيقوا يا أهل الكنانة ..

أنا لا أريد أحد داخلى مغيبًا بدون قضية .. يتبع أهواء آخرين يريدون هم السلطة .. ولا يريدون المنفعة ..

أفيقوا يا أهل الكنانة ..

إنها مصر المحروسة التى جعلت العالم كله يُلقبها بأم الدنيا .. ومقبرة الغــزاة .. فلا تجعلوا من أنفسكم غــزاة .. ولا تجعلوا أنفسكم بنــادق فى أيادى أعدائكم .. الذين لا يريدون إلا ما أنتم عليه الآن !!

نداء من المشرحة ..

أفيقــوا ..

فأنا بيت الدم ولا أريد أحد داخلى بدون قضية يجعل من أمه (أم المقتول) ويجعل من ابنه (يتيم) !!

أفيقوا يا من نسيتم الإنســانية وجعلتم من أنفسكم ضــباعًا تأكل فى لحم الميت .. وتتحدث وكأنها إله يعلم أين الحق .. وأين الباطل ؟!

وإذا كنتم تريدون حق .. أنا لست بيت الحق .. أنا بيت الدم ! ومن بداخلى بدون قضية .. فما هــو إلا مقتــول لعنصريته .. وعنصرية أناس آخرين ..

أفيقـــوا ..!

باسم سليم

* * * *

هناك قصص رعب لباسم سليم أقدم لك واحدة منها بعد ضبط بعض القواعد واللغة :

التجـربه الأولى ..

الاســم : أحمـد النجـار ..

المكان : شاليه الإسكندرية ..

صدقونى والله العظيم بقول الحقيقة !..

لم أعهد يومًا أحمد (النجار) كذابًا ، أو من النوع الذى يختلق القصص والروايات الزائفة حتى يلفت الانتبــاه إليه . فشخصية (النجار) معجونة بالثقة فى النفس والقــوة والصلابة ، تركيبة ألفناها مــن خلال معرفتنا به ، منــذ سنين ، وأيــام السهر فى عز الصيف .

ولكن هذه المرة ما قاله يعد غير مقبول ، ولا يمكن تصديقه ، وخارج عن نطاق الاستيعاب . ولكنه (النجار) .. صاحب روح الفكاهة ولكنه لا يكذب ..

يقول أحمد (النجار) :

ليلة البارحة وأثناء سهرى فى البيت وحدى بعد أن عدتم إلى بيوتكم جميعًا ، جلست أشاهد التلفزيون ، ثم سرعان ما شعرت بالملل ، لاسيما وأننى لا أنام إلا مع بزوغ خيوط الفجر الأولى ، فكما تعلمون هذه هى حالى منذ أن أصبحت مصر بهذا الشكل فلا أقدر على الذهاب إلى عملى لأنه ببساطة لا يوجد عمل ومنذ حينها وأنا أعيش يومى بلا هدف بانتظار الرد من إدارة الشركة لكى أذهب مرة أخرى .

وبين التنقل بالريموت كنترول بين قنوات التلفزيون من محطات أغانى وأفلام إلى أخبار وبرامج تافهة ، تساءلت كيف سأضيع ليلتى هذه والليل لا يزال فى أوله . كانت عقارب الساعة تشير للثانية عشر والنصف بعد منتصف الليل حين قررت أن أسحب مفتاح السيارة وأرتدى ملابسى وأنطلق إلى

الشاليه فى الإسكندرية . لا تسألونى من أين جاء هــذا القرار ، خاصة وأن جميعكم لستم متفرغين للذهاب معى فكل منكم لديه عمله أو جامعته فى الصباح الباكر .

انطلقت بالسيارة على سرعــة 100 كم فى الســاعة . وأنا أستمع لبعض الأغانى أو أتحدث بالتليفون مع خطيبتى .

وبعد مشادة حــادة بينى وبينها ، قفلت الخــط وقررت ألا أرد عليها ، مع أنها ظلت تتصــل حتى وصلت إلى الشاليه . اتصلت بهاتف البواب ، ولكنه مغلق ، ظللت أتصل ، ولكن ما من مجيب ، وهنا فقط تذكرت بأن البواب سافر قبل أسبوع إلى بلده .

ترجلت من الســيارة ، وفتحت البوابة ودخلــت بسيارتى إلى ساحة الشاليه الداخلية . كــان الظــلام دامسًا ، ولا شىء يعكر هدوء المكان ســوى هدير الموج الذى كان مدا فى تلك الليلة . نزلت من السيارة ولم أقفــل أبوابها ، فليس هناك من أحد يفكر بأن يسرقها أو حتى يمر بقربها . فهــذا الوقت من السنة تكون العوائل مشغولة مع أبنائها فى الدراسة لاختبارات نهاية العام ، وتكون منطقة الشاليهات تقريبًا شبه مهجورة .

وضعت المفتاح فى باب صالة الشاليه ، أدرته بهدوء ودخلت . فتحت الإضاءة وشغلت الكهرباء ، ثم فتحت التلفزيون ووضعت هاتفى والمفاتيح على الطاولة الصغيرة وسط الصالة .

وعلى صوت الأغانى المنبعثة من إحدى محطات الأغانى على التلفزيون بدأت أتجول فى الشاليه وأعد لى وجبة خفيفة فى المطبخ . ثم خرجت لأطل على البحر ، فقد كان المنظر خلابا ، وبنظرة سريعة على الشاليهات المجاورة تيقنت بأننى الليلة وحدى بعيدًا عن الهم وبعيدًا عن كل الناس . عدت لصالة الشاليه ، وجلست أشاهد التلفزيون . رن تلفونى النقال ، ودون أن أنظر عرفت بأن المتصل خطيبتى ، وفعلاً نظرت فوجدت اسمها على الشاشة ، لم أرد عليها ، وظلت تتصل حوالى أربع أو خمس مرات متتالية ولكننى لم أرد عليها فقد كنت متضايقًا منها .

مر الوقت ، تقريبًا نصف ساعة أو أكثر ، وأنا أشاهد التلفزيون وآكل بعض الفاكهة . وفجأة سمعت رنة صفارة من تليفونى .. صفارة كالتى تسمعها عندما يصلك بلوتوث من أحد . استغربت .. نظرت لشاشة تليفونى فصدمت ! شخص ما يرسل

لى بلوتوث فى منتصف الليـل فى منطقة شـبه مهجورة بعيدًا عن الديرة . دققت فى اسم المرسل فكان (أنا شايفك) !..

أنا شايفك !.. مين ده ؟ وماذا يفعل هنا فى هذا الوقت المتأخر ، اعتقدت فى البداية بأنه أحـد منكم ، ربما يكون مقلبًا أو مزحة ثقيلة تعدونها لى ، ولكن كيـف عرفتـم بأننى ذاهب للشاليه ؟ فلا أحد يعلم بأننى هنا سوى صديقتى !

قـد يكون أحـدًا من الجيران ؟ ولكننى متأكد بأن الشاليهات المجاورة خالية تمامًا من أى مخلـوق ، إذًا كيف وصل هـذا البلوتوث ؟..

استقبلت .. وانتظرت ثوانى حتى أعرف ما محتوى الرسالة .

وصلت الرسالة .. فتحتها ... وفجأة .. كانت الصدمة الكبرى .. كانت صورة لى التقطت قبـل دقائق من وصول البلوتوث وأنا جالس فى صالة الشاليه آكل فاكهة ..!

صعقت ، ونهضت من مكانى .. شخص ما صورنى من وراء نافذة الشاليه وبعث لى بالصورة عن طريق البلوتوث .

اتجهت نحو نافذة الصالة ، نظـرت .. فلم أجـد أحدًا .. هنا شككت أن يكون أحد من إخوتى قد أتى للشاليه فوجدنى فحب أن يعمل فى مقلب . ولكننى استبعدت هذا الشىء تمامًا خاصة وأن اليـوم هو الاثنين أى فى منتصف الأسبوع والساعة قاربت على الثالثة صباحًا والكـل نيـام فى البيـت استعدادًا لأشغالهم فى السابعة صباحًا !..

إذًا من يكون ؟ صديقتى ؟ لا مستحيل ، إنها بالكاد تخرج من البيت وإن خرجت فإن حظر التجـول عليها يبـدأ من الساعة العاشرة مســاء ، ولديها بدل الأخ خمســة ، أى لا أمل لها فى التسلل والخروج ليلاً ، ثم إنها لا تعـرف طريق شاليهنا فهى تسمع به ولكنها لم تزره مطلقًا !

أسرعت نحـو البــاب وخرجت ، وبخطوات هادئة ثم سرعان ما صرت أدور حول الشاليه ، أبحث عن أى أثر أو صوت أو حتى طبعات لخطوات أرجل . ولكننى لم أجد شيئا ، كان الظلام دامسًا ، ولا نور ينير المكان سوى ضوء القمر المكتمل فى صدر السماء ، ونور صالة الشاليه الذى يتسلل من وراء ستائر النوافذ .

احترت ، من المرسل ؟ من الذى صورنى وأرسل لى صورتى ثم اختفى فجأة ، إنه مقلب .. أكيد مقلب .. مستحيل هذا يحدث دون تدبير وتخطيط ..

فتحت تليفونى بسرعـــة ، وعملت بحث سريع لأسماء أجهزة الهواتف الموجودة فى البلوتوث ، وكان الرد .. لم يتم العثور على أجهزة بلوتوث ، حاول مرة أخرى !..

وقفت لبرهة أفكر محاولاً فهم الموقف ، ترى هل هو مقلب ؟ أم !..
فجأة .

وصلنى بلوتوث آخر .. المرسل .. (أنا شايفك)

استقبلت دون تفكير ، ثوان ووصلت الرســـالة .. فتحتها .. وكانت الصورة .. صورتى !

نعم صورتى وأنا أقف خارج الشاليه التقطت لى قبل لحظات وأنا أبحث عن المصدر المرسل للبلوتوث ..!

التفت ورائى بسرعة ، أبحث وأبحث دون هوادة .. لا بد أنه كمين ، مقلب من أحدكم ، مستحيل ما يحدث لى ، مستحيل أن

يتم تصويرى دون أن أشعر أو أن يرسل لى أحد بلوتوث دون أن أحس بوجوده فى المكان ، يا جماعة قصة لا تدخل العقل .

دخلت لداخل الشاليه وأنا أحاول أن أتصل بواحد فيكم .. ولكن لم يرد على أحد .. شىء طبيعى فالساعة قاربت على الرابعة فجرًا ..

جلست أفــكر ، كتمت صــوت التلفزيون ، ورحت أقرأ بعض الآيات القرآنية على أمل أن أهدئ من روعى قليلاً وأجد تفسيرًا منطقيًا . هنا فكرت بالنزول للبحر فربما أجــد بعض الشباب من الشاليهات القريبة يصطادون فى هذا الوقت ، شباب لا عمل لهم مثلى ويريدون ملء وقت الفراغ ، وربما يريدون أن يتسلوا بى .

خرجت ومشيت على رمــل الشاطئ ونور القمر دليلى فى هذه الليــلة المظلمــة ، أطل وأبحث وأمعن السمع لعلى أمسك خيطًا يوصلنى لنتيجــة تمحى أوهامى التى زرعــت فى رأسى بعد ما حدث معى .

وعلى بعد عشرين متر من الشاليه ، شهقت فزعًا وأنا أسمع صوت التلفزيون داخل الشاليه وقد انطلق فى فضاء الليل الهادئ وعلا ضجيجه فى كل مكان ، كانت أغنيــة أجنبيــة ، وكانت

مزعجة جـدًا . ركضت إلى الشاليه مسرعًا ، وكل ظنى أن أحدًا وصل إلى هنـاك . ركضت وركضت وأنا أقع وأنهض من ثقل التراب الذى تنغمس فيـه رجلى على غير هـدى وكأننى ضائع ووجد ضالته .

دخلت الشاليه .. التلفزيون شغال ، الصوت عال بطريقة غير طبيعية ، وكل شىء فى مكانه مثل ما هو . أغلقت التلفاز ، تلفت حولى أبحث عن أحد ، أبحث فى الغرف ، فى الحمام ، فى ساحة الشاليه .. لا أحد .. لا أحد ..

وفجـأة .. انفتحت أضـواء السيارة الأمامية .. انفتح كشافها العالى ، أحسست بعينى يكاد يصيبهما العمى ، صرخت :

ــ مين ؟ .. مين ؟

وبدل أن يجيبنى أحـد أخذت إضاءة السيارة تنطفئ ثم تنفتح مرة أخرى ، وتنفتح ثم تنطفئ مـرة أخـرى .. وأنا لا أستطيع أن أميز شكل الشخص الذى كـان داخلها . وبعـد لحظات قليلة مرت كالدهر. ترجل من السيارة رجل طويل القـامة ، يا جماعة طويل بطريقة مريبة . يرتدى جاكت أسـود فى عز الصيف .

وكان أسود اللون ، ولكن وجهه يميـل للزرقـة كالمخنوق ، وكانت عينـاه ناعستين . أحسـست بأن قدمـاى لا تحملانى ، وشـعرت بكل وصـلة فى جسـدى ترجـف ودقات قلبى تكاد تنتزعه من مكانه وأكـاد أراه يسقط أمامى على الأرض من شدة الرعب .

تقدمت خطوة على أمل أن أشعر الرجل بشجاعتى وبأننى لست خائفًا منه ، قلت وصوتى لا أكاد أسمعه من رهبتى :

ـ اؤمر يا صاحبى .. أقدر أساعدك فى حاجه ؟

نظر لى صامتًا واجمًا ، ثم صد عنى وسار نحو بوابة الشاليه ، ظل يسير ويسير حتى أقسم أننى رأيته يختفى فى الظلمة .

ودون تفـكير منى دخلت الشاليه بسرعـة أبحث عن تليفونى ومفاتيحى . سحبتهم من فوق الطاولة وخرجت بسرعة ، ركبت السيارة وانطلقت هاربًا وأنا لا أكـاد أصدق عينى . وفى الطريق فتحت الإذاعة على القرآن الكريم وأنا أهلوس بينى وبين نفسى .. هل ما رأته عيناى صحيح ؟ هـل كان جن ؟ هل كان أنس ؟ هل

كان من أهل الأرض ؟ ماذا كان هذا الرجل ؟ ومن أين أتى ؟ وماذا كان يريد ؟

أمسكت تليفونى ، فكرت أتصل بالشرطة ولكن ماذا أقول لهم ؟ فكرت أتصل بإخوتى .. أتصل على أحـــد منكم ولكن من سيجيب على فى هذه الساعة ؟

انطلقت عجــلات سيارتى فى الخــط السريع على غير هدى ، وعلى أثير إذاعة القرآن الكريم . بينما أخذ الفجر يرسم خطوطه الأولى فى السماء معلنًا نهاية ليلة غريبة وبداية يوم جديد .

أخذ الأصدقاء يهزون رأسهم غير مصدقين ونحن نجتمع فى القهوه بقرب بيت أحمد ، وبدأت التعليقات والنكات تنهال عليه وهو يطرق رأسه فى الأرض وكأن لسان حاله يقول : علمت بأن لا أحد سيصدقنى . الجميع ظــن بأن أحمــد يتوهم أو ربما هو يدعى ما سرده علينا من قصة لا تدخل العقــل حتى لا نطالبه بالمزيد من الرحلات إلى شاليهم والنــوم هناك كمـــا اعتدنا كل صيف . ولكن شىء ما فى داخلى كـــان يشك بأن قصـــة أحمد حقيقية ، وأن هناك شيئًا مفقــودًا بالقصة لم يذكره أحمد يؤكد كلامه ولكن لسبب ما آثر على كتمانه !..

جلس الجميع فى جلسة دائرية يلعبون الكوتشينه ، وأحمد من ضمنهم . لا أعرف ما الذى جعلنى أسحب تليفـون أحمد وأبحث فيه .. دخلت على ستوديو الصور ، وأول صورة ظهرت لى .. كانت لرجل أسود اللون يرتدى جاكت أسود ، وجهه يميل للزرقة كالمخنوق ، وعيناه ناعستان ، الصورة التقطت فى شاليه أحمد .. بتاريخ أمس !

صدقونى والله العظيم بقول الحقيقة !..

باسم سليم

* * * *

الفـكرة جميلة وتداعـب هاجس البارانويا الكامن فينا .. ماذا لو كان هناك من يلتقـط لى الصور فى هـذه اللحظة بالذات ؟.. راق لى كذلك جـو الأصدقاء الذين يصغون لقصة أحدهم وهـو تكوين شهير فى قصص جى دى موباسان ..

* * * *

هناك قصتان من صديق اسمه (إبراهيم محمود سنهابى) ، قابلتـه فى ندوة ووعدته بأن أنشر القصتين فى كتيب فانتازيا ،

لكن مشكلة الأعمال المكتوبة باليد هى أنها مرهقة لى فى إعادة نسخها خاصة أن الخط غير واضح ، وتعاملى مع المؤسسة صار رقميًا بالكامل فلا مكـــان لأوراق مكتــوبة باليـــد يعيدون نسخها هناك . لهذا أنا لم أحنث بوعـــدى يا إبراهيم لكنى أنتظر نسخة رقمية تصلنى على البريد الإلكترونى . اتفقنا ؟

أعتقد أننى سأتوقف هنا . ما زال هناك جبل من أعمال القراء ، لكن لابد من أن يتوقف المـــرء فى نقطة ما . نلتقى فى الكتيب القادم إن شاء الله .

د. أحمد خالد توفيق



مشروع القرن الثقافى
روايات مصرية للجيب
فى كل رواية متعة دائمة

فانتازيا
مغامرات ممتعة
من أرض الخيال



د. أحمد خالد توفيق

وحدى مع لافكرافت

.. الحقيقة هى أن الإنسان يحب أن يخيف نفسه .. لا شك فى هذا .. تأملى الأطفال الملتفين حول جداتهم يطلبون سماع المزيد من القصص عن الغولة و(أبو رجل مسلوخة)... دعى أى شخص يسمع طرفًا من قصة مرعبة وراقبى اهتمامه .. إن سماع قصص الرعب يشعرنا باطمئنان داخلى على أنفسنا، فنحن نرتاد أفظع مخاوفنا لكننا نعرف أننا سنظل سالمين ...

28/12/013

العدد القادم

من قتل الإمبراطور ؟






الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم